سعيد أيوب

شيطان الغرب
سلمان رشدي
الرجل المارق

دار الاعتصام

دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازى - ت ٣٥٤٦٠٣١ / ٣٥٥١٧٤٨ ص.ب ٤٧٠ القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع



الإهداء

• إلى العالم الغربى الذى شن حملة إعلانية هى امتحان قوة مع المسلمين من موقع الاعتداء على مقدسات الإسلام وعقائده .

• إلى أبناء الإسلام الغيارى الذين واجهوا الحملة الغربية بتظاهراتهم . فانكمش أمامهم الخبث والمكر .

• إلى كل أب وكل أم وكل طفل اهتزت مشاعره . عندما تطاولت الحضارة الغربية على الإسلام ورموزه .

• إلى أسرتى .. زوجتى .. وأولادى .. أحمد ، ولاء ، دعاء - تلك الأسرة المسلمة التى رأيت فى عيونها بصمة الحزن نتيجة للحملة الغاشمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله الكرام .

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا الكتاب .

« .... أيوب »

حكم من سب
الرسول صلى الله عليه وسلم

• روى أبو داود فى سننه (١) :

« أن يهودية كانت تشتم النبى صلى الله عليه وسلم وتقع فيه . فخنقها رجل حتى ماتت . فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها » .

وقال صاحب عون المعبود شرح أبو داود ١٢/١٧ :

« فيه دليل على أنه يقتل من شتم النبى صلى الله عليه وسلم . وقد نقل ابن المنذر الإتفاق على أن من سب النبى صلى الله عليه وسلم صريحا وجب قتله » .

---

(١) حديث رقم ٤٧٤٠ .

بين يدى الرسالة

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (١) .

منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، والشيطان يعمل بجد ليهدم الإنسان ، على امتداد التاريخ وتلاميذ الشيطان يحاربون بجد من أجل جعل الشذوذ قاعدة . فحاربوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وصدوا عن سبيل الله - ومن أجل هدم الدعوات نشط الشيطان فى اختراق جماهير كل دين من الأديان ونفث تحت جلود البعض .. فرفعوا أعلامه المزينة بعلامات الرسل والأنبياء ، وقاتلوا الدين من فوق أرض الدين - لذلك - حكم الله - وهو أعدل الحاكمين - أن يكون هذا الصنف فى الدرك الأسفل من النار ، وهذا الصنف احترف استعمال فمه لإطفاء نور الله - قاتل بصمت وبهدوء من وراء أجهزة الإعلام من أجل تهويد الفطرة .. أو تنصيرها - أو توثينها ، وبالجملة من أجل أن تكون عابدة للهوى . ولقد عمل طابور الكفر والشرك على تنمية طابور النفاق وتربيته تربية تستقيم مع كل عصر - وزوده بأحدث الفؤوس التى يضرب بها فى جدار سفينة الإسلام من أجل أن يغرق أهلها - وتجنيد معسكر الكفر والشرك لخدمة النفاق نابع من الخوف الذى كتبه الله على هذا المعسكر ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾(٢) فالخوف أصل أصيل فى بنائهم . والمستقبل مظلم أمام عقولهم وقلوبهم ، لأن الهزيمة واقعة بهم لا محالة ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾(٣) من أجل هذا اختبأ معسكر الكفر والشرك وراء الجدر ، اختبأوا وراء الأزرار الالكترونية ، ووراء المنظمات الخيرية ، ووراء الرغيف ووراء الشهوة ،

(١) سورة الصف : ٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٥١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٢ .

وأهم جدار لهم هو جدار النفاق ، لهذا عملوا على تربيته التربيه الدقيقه ، كى يشوه الخط الرسالى الذى يخافون منه ، والذى سيغلبون على يديه حقاً مقضياً لا لبس فيه ولا شبهة ، وعلى امتداد التاريخ قامت حزمة النفاق للصد عن التوراة بالتوراة ، وللصد عن الإنجيل بالأنجيل ، وللصد عن القرآن بالقرآن ، كانوا يخرجون من عند الرسل عليهم السلام ، وطعام الرسل فى جوفهم ـ فيلونون الحديث ويتأولون الآيات لصالح دائرة الأهواء التى قام الطابور الشيطانى بضبطها داخل نفوسهم .

وسلمان رشدى صاحب كتاب « آيات شيطانية » ما هو إلا طفل من أطفال حزمة النفاق ، مكانه الحقيقى فى دائرة الكفر ، لكن معه شهادة تضعه ضمن البيت الإسلامى ، وهذه اليافطة استثمرها المعسكر الكافر ، ووقف وراء جدارها ، وقدم الجدار إنتاجه . « آيات شيطانية » تلك القصة التى صنعت خصيصاً من أجل مخاطبة الوجدان الغربى ، فبعد أن أخفق العقل الذكى هناك فى تقديم الزاد الذى يغذى ملكات الوجدان وبعد أن شعر أفراده بالضنك الروحى ، هرولوا إلى الإسلام ، لأنه المنهج الوحيد الذى يخاطب العقل والوجدان ، ويحدد الوسائل الحقة لـ « كيف ؟ » وهذه الوسائل خاضعة كلها لفقه « الحلال والحرام » ويحدد بعد الوسائل أهداف « لماذا ؟ » وهى أهداف كلها تسير فى اتجاه واحد يحقق العبودية الحقة للإنسان ، والتى عليها ينال الثواب أو العقاب فى اليوم الآخر .

هرول العقل الغربى إلى دائرة الوجدان الإسلامية ، فتذوق مالم يمكن أن توفره له قراطيس الغرب كلها ، عندئذ وقع الذين وراء الجدار فى مأزق ، فكان لابد من عمل فنى يخاطب دائرة الوجدان فى أفراده ، حتى إذا ذكر الإسلام عند إنسان ما . خرجت المضادات الحيوية التى غرسها العمل الفنى ـ والمحملة بالجراثيم لسد نوافذ النور داخل دائرة الوجدان ، فلا يجد الإسلام له سبيلًا ، بعد أن شوهت جميع رموزه فى المنطقة ذاتها .

إن سلمان رشدى ، وأمثاله أولئك الذين حملوا فؤوسهم

الوجدانية ، وقاموا بتأصيل الشذوذ عن طريق القصة،والمسرحية حتى صار قاعدة وغيره استثناء ، فهؤلاء تمت برمجتهم فى معسكر الكفر، وانطلقوا من دائرة الأهواء وهم يحملون الأسماء الإسلامية ، وبدأوا ينفخون بأفواههم ، كل حسب المهمة الموكولة إليه ، من تلاميذ الشيطان قرناء السوء . أو من الشيطان شخصياً ، بعد أن تربع على الصراط المستقيم ، وحجب نور الفطرة ، ومد طفله المدلل بتصورات منطقة العتمة ، ورسالتنا هذه ليست تعريفاً بالإسلام ، فالإسلام مصادره ومن أراد أن يعرف جانبا من جوانبه فعليه بهذه المصادر . وهذه الرسالة ليست رداً على سلمان رشدى ، ولا على الطابور الشيطانى الذى خرج منه ، لأن هذا الطابور لا يقدم فكراً ، إنما احترف تقديم اللذة الخسيسة ، والشهوات الدنيئة ، والرغبات الماجنة ، وليس معنى هذا أننى لن أرد على ما جاء فى « آيات شيطانية » بل سأضرب المرتكزات التى قامت عليها ، ولأنها مرتكزات مضروبة أصلًا ، فإننى فضلت أن تكون هذه الرسالة فى الأساس موجهة إلى العقل الغربى الذى عمل الحلف الشيطانى من أجل إبعاده عن الدين الحق ، وفى رسالتى هذه قدمت للعقل الغربى أصول الفطرة وبرنامجها ومستقبلها ، وفى المقابل قدمت أصول البرنامج الشيطانى ومأزقه ومستقبله ، وعليه سيعلم العقل الغربى من أين جاءت « آيات شيطانية » ؟ وسيعلم أن منطلقات الغرب كلها ، وبلا استثناء منطلقات لا علاقة لها بالفطرة ، وأن مذاهبه الفكرية والاقتصادية والسياسية تستمد زيتها من منطقة العتمة التى أسسها الشيطان - لهذا - انتهت فى نهاية الأمر إلى الفقر المزخرف - فهذا الفقر ما خرج إلا من تحت أرجل الشيطان ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾(1) ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾(2) .

---

(1) البقرة : ٢٦٨ .

(2) المجادلة : ١٩ .

وهذه الرسالة التى أوجهها إلى العقل الغربى فى الأساس أردت أن يفهم منها الجانب الآخر حقيقة ما يجرى حولهم ، لهذا اتبعت أسلوب الرد لما جرى وما يجرى ، ولم أقصد فى رسالتى هذه الإساءة إلى أى تكتل بشرى ، فلقد تقيدت على امتدادها بالحقائق التى ذكرت فى أكثر من مصدر ، وجميع مصادرها معتبرة .

وأخيراً : لم يكن ضمن حساباتى أن أمسك بقلمى لأكتب ، فالكلمة الصادقة فى عالمنا اليوم - عار - الكلمة الصادقة لا يسرى عليها فقه « حرية الفكر » لم يعد لها قيمة فى عالم الدجل الذى التبست فيه الأمور ، وفى بقاع عديدة يتهم أصحاب هذه الأقلام بالعمالة تارة ، وبالإرهاب تارة ، وبمعاداة السامية تارة أخرى ، لم يكن ضمن حساباتى أن أكتب ، ولكن حلف الآيات الشيطانية لم يترك لى الخيار ، لقد خرجت أقلامه تنهش فى عرض « محمد » سيد ولد آدم ، وتضرب مشاعر أكثر من مليار مسلم ، بينما هم فى ديارهم يصنعون حمامات السباحة للكلاب ، ويضعون حسابات طائلة فى البنوك للقطط .

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (١) .

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢) .

سعيد أيوب

١ رمضان ١٤٠٩هـ .

٧ إبريل سنة ١٩٨٩م

***

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٩ .

(٢) سورة يوسف ٢١ .

الجـــذورُ

أولا : حكمة الخلق

- مخزون الفطرة .
- دين الفطرة .
- خاتم أنبياء الفطرة .
- الفكر فى برنامج الفطرة .
- مستقبل برنامج الفطرة .

ثانيا : بذور الشر واعلام الشيطان .

- برنامج الشيطان .
- تحذيرات الهية .
- الفكر فى برنامج الشيطان .
- فقه العجل .
- سقوط رسالة فقه العجل .
- الحضارة الغربية .

لكى نصل لكل من يتطاول على دين الله وعلى رسل الله لابد لنا من تسليط الأضواء على الجذور الأولى لكل من مربع الهدى ومربع الشيطان ، فعند الجذور سنرى الزيت الذى يشعل كل مربع منهما ، ثم نرى الفروع وإلى أين تتجه ، وثمارها إلى أين سينتهى بها المطاف .

أولا : حكمة الخلق

قال الله الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فى كتابه الذى أنزل على محمد ﷺ :

﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ (١) .

قال المفسرون : أى أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ، ولا حكمة لنا ؟ وأنكم إلينا لا تعودون فى الدار الآخرة وقال تعالى :﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** ﴾ (٢) أى أيظن الإنسان أن يترك هملًا ، لا يعتنى به ، فلا يبعث بإحيائه من الموت ، ولازمه ، أن لا يكلف ولا يجزى .

إن الله تعالى ما خلق خلقاً إلا لهدف ، ومن وراء هذا الهدف حكمة ، وهو سبحانه قد حدد مهمة الإنسان فى هذه الحياة فالله تعالى ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه ، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة سواه ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٣) والمراد بخلقهم للعبادة ، خلقهم على وجه صالح لأن يعبدوه ، وذلك بأن الله تعالى جعلهم ذوى اختيار ، وعقل ، واستطاعة ، ولما كانت معرفته سبحانه وتعالى هى رأس الزاوية وبها سينطلق الإنسان من الحياة الأولى إلى الحياة الآخرة ، فإن حقيقة المعرفة أودعها الله تعالى داخل كل إنسان . بعد أن أقر بها الإنسان نفسه فى بداية الخلق .

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٥ .
(٢) سورة القيامة : ٣٦ .
(٣) سورة الذاريات : ٥٦ .

قال تعالى :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (١) .

فهذا الهتاف الذى لبى ربه بالطريقة واللغة التى شاءها الله ، وفى المكان والعالم الذى حدده الله ، هذا الهتاف فيه إشارة على أن معرفة الله هى أصل الوجود والعدم فهو سبحانه عندما أخذ الميثاق فى عالم الذر من ذرية آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم قال لهم الله **﴿ ألست بربكم ﴾** لم تطالبه الأرواح أن يبرهن على أنه ربهم إنما كانت التلبية **﴿ بلى ﴾** لأن كل جزئية من أجزاء عالم الذر نواتها تشهد بأنها مخلوقة لله ــ وآخر جزئية وآخر نواة فى هذا الخلق تشهد أنها مخلوقة لله وأنها جاءت من العدم ، وعالم العدم يشهد بأنه مخلوق لله وأن له أول وابتداء ، والله تعالى هو الأول والآخر ، بدأ الخلق ويعيده ، وهو على كل شىء قدير .

فالمعرفة الأولى : أقر بها المخلوق الأول ، لأن المعرفة أصيلة فى الكون ، وبعد الإقرار الأول ، اقتضت حكمة الله ، أن يكون هذا الإقرار هو الشاهد الرئيسى على الإنسان يوم أن يقف أمام عدل الله تعالى يوم القيامة .

﴿ بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ، وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ (٢) .

فالجميع أقرأوا بالربوبية ، وفى علم الله ، إن الإبتلاء سيعم الجميع على طريق الاختبار فى الدنيا ، وإن بين هذا الجمع من سيعمل لأجل التعتيم على هذه الحقيقة ، وأن هذا التعتيم ستشب عليه أجيال سيقومون فى عالم الشرك بتأصيل الشذوذ ، وأنهم سيحتجون يوم القيامة بأنهم وجدوا آباءهم على هذا الشذوذ فاتبعوهم ، وهذا الاحتجاج سيسقط عندما سيجد كل من يحتج به حقيقة الحقائق

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٧٤ .

فى انتظاره ، يوم يقف وحده ، ولا تغنى عنه دولة أو حزب أو طائفة ، أو أسرة : ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾ (١) . يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويأتى الإنسان ومعه الحقيقة المغروسة فى أعماق فطرته ، منذ أن لبى ربه وهو فى عالم الذر ، ويسمع نداء العلى الأعلى :

﴿ **لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ (٢) .

مخـزون الفطـرة

ذكر ابن كثير أن الله استخرج ذرية آدم من أصلابهم . شاهدين على أنفسهم ، أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو .

وقال سبحانه بعد أن أقرت الأرواح بتوحيده « إنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم ، أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رب غيرى ، فلا تشركوا بى شيئاً ، وإنى سأرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدى وميثاق ، وأنزل عليكم كتبى ، قالوا نشهد . إنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك » (٣) .

— هذه الشهادة هى نسيج الفطرة ومخزونها . ولقد تعهد الله بأن هذا المخزون لا تبديل له ، فقال ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها ؛ لا تبديل لخلق الله** ﴾ (٤) . لا تبديل لها لأنها حقيقة الحقائق وهى حجة بذاتها على صاحبها ، فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة ، مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضره فى حياته ، وهو مع ذلك مجهز بما يتم له به الاختيار بين البديلات ، لكن الفطرة تهديه إلى سنة خاصة فى الحياة وسبل معينة لها غايات محددة ، وليس للإنسان إلا أن يسلكها لأنها تحقق له السعادة قال تعالى : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ (٥) قال المفسرون : المراد بالسبيل السُّنة والطريقة التى يجب على الإنسان أن يسلكها فى حياته الدنيا لتوصله

---

(١) سورة القيامة : ١٤ .
(٢) سورة الكهف : ٤٨ .
(٣) ابن كثير ٣/٢٠٥ .
(٤) سورة الروم : ٣٠ .
(٥) سورة الانسان : ٣ .

إلى سعادته فى الدنيا والآخرة ، وهذه السنة والطريقة التى تؤدى إلى السعادة يأتى بها رسل الله تعالى الذين بعثهم الله إلى هذا العالم ، فالفطرة التى تشذ عن منهج الله ، يكون صاحبها قد توغل فى عالم التعتيم ، بعد أن سلك طرقاً وضعت أكسية غليظة على الفطرة ، فحجبت نورها ، وقطعت إشعاعاتها ، فلم ير آيات الله الدالة على بداية الخلق ونهايته وإن رآها فسرها وفقاً لأصول وفقه التعتيم ، وليس معنى أنه حجب الفطرة أنه بدلها ، لا ، إنها فيه ، شاهدة عليه ، لأنها حجة بذاتها لكنه باختياره سار فى الطريق الذى صنع له مرشداً غير الفطرة أى غيم عليها وهذا الغيم هو الذى يمده بتصوراته فى الحياة وهذه التصورات هى التى أنشأت القرى الظالمة على امتداد التاريخ البشرى ، لأنها تصورات شذت عن التوحيد الذى هتف به عالم الذر يوم العهد الأكبر ، وشذوذ القرى الظالمة ، جعلها عرضة لضربات السماء ، لأنها خانت وتركت العهد ، وأصلت الشاذ ، يقول تعالى فى القرى الظالمة التى لم تحفظ عهدها ولم تتبع رسل الله : ﴿ **فما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين** ﴾ (١) .

قال فى المجمع : من عهد أى من وفاء بعهد ، كما يقال : فلان لا عهد له أى لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد .. إن القرى التى شذت عن الفطرة — لم توفِ بعهد الله فى عالم الذر ، ولم توفِ بعهده من ناحية آياته ومن ناحية حاجة أنفسهم ودلالة عقولهم ، فهذه النواحى جميعاً تقف عند حقيقة واحدة . عهدهم الذى عاهدوا الله عليه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والشذوذ عن الفطرة إذا كان يؤدى إلى عقاب فى الدنيا من أجل أن يعود الناس فيتوبوا ، ويتبعوا الرسل ، فإنه يدفع بأصحابه إلى نار جهنم فى الآخرة إذ لم يؤمنوا وينيبوا لله . ففى ذلك اليوم سيجدون أنفسهم داخل دائرة حرجة ، عندما تشهد عليهم رسلهم ، وتشهد عليهم أنفسهم ، لهذا رد الله تعالى الإنسان إلى فطرته ، عندما سأل الذين يكذبون بالبعث رسول الله عن بعثهم بعد أن يصيروا تراباً وعظاماً فقال تعالى :

---

(١) سورة الأعراف : ١٠٢ .

﴿ **فسيقولون من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة** ﴾ (١) .

وعالم الفطرة ، أو قانون الفطرة لا يقتصر على الإنسان وحده ، إنما هو قانون جميع خلق الله فالسماوات والأرض وما فيهن قائم على التوحيد ، لهذا نجد إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ **إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً ..** ﴾ (٢) ونجد الله سبحانه وتعالى يخبر عن إسلام من فى السماوات والأرض فى رده تعالى على أصحاب التعتيم والكفر فقال : ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون** ﴾ (٣) .

فقانون الفطرة قامت عليه السماوات والأرض ، وسبحت به مخلوقات الله تعالى قال تعالى : ﴿ **ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته** ﴾(٤) وقال ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ (٥) .

وربما يقول قائل من معسكر التعتيم : ما الدليل المحسوس أو الملموس على وجود الفطرة ، وربما احتج على أن أدلة الفطرة هذه نقدمها من القرآن ، وهو لم يؤمن بالقرآن ابتداء ، نقول لهذا الطابور الذى جاء لنا قديماً بأمثال مؤلف آيات شيطانية ، وسيأتى فى المستقبل بأمثاله ، لأن مهمته الوحيدة التى زينها له الشيطان هى الصد عن سبيل الله ، نقول :

لقد أثبتت الاحصائيات : إن الولايات المتحدة الأمريكية تنفق ثمانية مليارات دولار ، على تربية الكلاب والقطط ، والحيوانات الأليفة ، وفى أمريكا وحدها يوجد ٩٢ مليون كلب وقط ، وميزانية مركز العناية بالحيوانات الأليفة تصل إلى مليارى دولار ، وفى أمريكا تم افتتاح أول فندق من نوعه للكلاب فقط . وحجرة الكلب فى الفندق المذكور تحتوى بالإضافة إلى ما تحتويه من أشياء ترفيهية على جهاز ستريو يبث الموسيقى الخفيفة من أجل راحة أعصاب الكلب الكريم .

---

(١) سورة الإسراء : ٥١ .
(٢) سورة الأنعام ٧٩ .
(٣) سورة آل عمران ٨٣ .
(٤) سورة الرعد ١٣ .
(٥) سورة الإسراء ٤٤ .

نقول : بما أن رسالتكم هى للكلاب والقطط وكل حيوان معرض للإنقراض . فابحثوا فى كلب من الكلاب . عن حقيقة عبوديته لله ، فالكلب خلق من خلق الله ، نسأل إذا أعطيت قطعة من اللحم لكلب ما ألا تراه يجلس ليأكلها بجانبك باطمئنان ، نعم ، أنظر لهذا الكلب عندما يخطف قطعة اللحم من أمامك . غصباً عنك ، أو ، وأنت فى غفلة منه ، ألا تراه يجرى بها بعيداً عنك لماذا ؟ باختصار لأن فطرته الحيوانية . علمته أن الطريق الأول طريق صحيح جاء من حلال ، أما الطريق الثانى فهو خطأ ، لأنه جاء من حرام . فهل يعلم أصحاب تكنولوجيا الكلب أنهم قد تنازلوا كثيراً فى هذه الحياة . تنازلوا يوم أن ضاع منهم فقه الحلال والحرام ، يوم أن بحثوا عن « كيف ؟ » وتركوا « لماذا ؟» يوم أن اعتمدوا على الذكاء . فألقى بهم الذكاء فى دائرة « الايدز » التى لم يستطع الذكاء حلها ، وإذا حلها سيقع فى غيرها لأن الذكاء الذى يفتقد الدعاء هو ذكاء منقوص .

دين الفطـــرة

اختار الله تعالى بيوتاً خرج منها رسله وأنبياؤه ليكونوا حملة لواء الهداية للعالمين قال تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾ (١) .

من هذه البيوت خرج الرسل ، اصطفى الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واصطفى الله آل نوح ، فبعث سبحانه نوحاً عندما أصبحت عبادة الأصنام لها أعلام ، واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر محمد ﷺ صاحب الرسالة الخاتمة للعالمين ، واصطفى آل عمران ، والمراد بعمران والد مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام ولا خلاف فى أن عمران وآله بعض آل إبراهيم ، وإنما خصه الله تعالى بالذكر ليبين أن عيسى بن مريم ابنة عمران من آل إبراهيم ، وذلك لأن عيسى قد ولد بلا أب ، فتناسب أن يشار إلى آبائه من جهة أمه (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : ٣٢ .
(٢) ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين ص ٢/٢٦ .

وأصحاب الرسالة الالهية الذين يحملونها للناس عن طريق الوحي من قبل الله ، لا يمكن للشيطان اختراقهم بأى حال من الأحوال فالرسول ﷺ مؤيد بالعصمة فى أخذ الوحي من ربه وفى حفظه وفى تبليغه إلى الناس فهو معصوم من الخطأ فى الجهات الثلاث جميعاً ، مصون فى جميع مراحله إلى أن ينتهى إلى الناس كذلك فإن الرسول مصون أثناء تبليغه فى فعله وقوله لأن فى الفعل تبليغاً كما فى القول ، فالرسول مصون من المعصية باقتراف المحرمات وترك الواجبات الدينية ، لأن من يرتكب المعصية كيف يدعو إلى عدم ارتكابها . ومن يترك الواجبات الدينية كيف يدعو إلى عدم تركها ، فالرسول لأجل هذا معصوم وكل أصحاب الوحي سواء كانوا رسلًا أو أنبياء معصومون فى أخذ الوحي وفى حفظ ما أوحى إليهم وفى تبليغه إلى الناس قولًا وفعلًا ، والشيطان نفسه أعلن فى يومه الأول عندما رفض أمر ربه بالسجود لآدم ، كما أخبر الله تعالى ﴿ **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ (١) .

لقد استثنى من عموم الأغواء طائفة خاصة من البشر وهم المخلَصون ـــ بفتح اللام على القراءة المشهورة ـــ وجاء أيضاً فى قصة يوسف عندما همَّت امرأة العزيز بأن تفعل . وهمَّ يوسف بألا يفعل قال تعالى عن يوسف : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾(٢) وآدم عليه السلام عندما وسوس له الشيطان هو وزوجه فى الجنة لم تكن هذه الوسوسة فى دائرته الاعتقادية لأن آدم اصطفاه الله من قبل وأخلصه ، وما كان للشيطان أن يقترب من أول فطرة شهدت فى عالم الغيب وعالم المشاهدة بالتوحيد ، وإذا كان الشيطان لا يستطيع أن يبدل فطرة الله فى الإنسان العادى ، لأنها حجة بذاتها على هذا الإنسان ، فكيف ينفذ إلى فطرة نبى مصطفى مخلَص ، هذا محال .

والذين قالوا بهذا فيما بعد ، وقعوا فى فتنة ما أعظمها من فتنة لقد قالت النصارى بأن المسيح (الاله) صلب من أجل التكفير عن خطيئة آدم . .

---

(١) الشيطان هنا استثنى المخلصين ، والسياق يعود على الأنبياء ، واستثنى من أولاد آدم القلة عندما قال فى سورة الأعراف ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ .

(٢) سورة يوسف ٢٤ .

• ان الله تعالى لم يختبر آدم فى دائرة الاعتقاد . والشيطان لا ينفذ إلى هذه الدائرة أبدا . إنما الله اختبر آدم فى دائرة العزم فقال تعالى ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** ﴾ (١) والعزم هنا بمعنى الصبر كما قال تعالى ﴿ **ولمن صبر وغفرإن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾(٢) ، كى يقضى الله امرا . وتبدأ البشرية رحلتها نحو طريق الاختبار ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ (٣) وبدأ أصحاب الفلسفات يدورون حول الحدث حتى سقطوا فى فتنته .

وكما ذكرنا من قبل أن رسل الله جميعا لا يقترفون المحرمات ولا يتركون واجباتهم الدينية ، لأن الله تعالى قد اصطفاهم وأخلصهم . وما أخلصهم الا لنفسه . وليس لغير الله سبحانه فيهم شركة . ولا فى قلوبهم محل لغيره ، ورسل الله جميعا . جاءوا من أجل إرساء قواعد . عقيدة التوحيد . ولم يرسل الله رسولًا قط إلا بلسان قومه . وجميع الشرائع التى أنزلها الله على انبيائه دين واحد . وأن الأحكام المشرعة فى بعض هذه الشرائع المنسوخة فى الشريعة اللاحقة . فحقيقة الحكم المنسوخ انه حكم ذو أمد خاص بطائفة من الناس فى زمن خاص . ومعنى نسخه . أى انتهاء أمده . لا ظهور بطلانه ، لأن الله يقول الحق . قال تعالى ﴿ **والله يقول الحق وهو يهدى السبيل** ﴾ (٤) فالحكم المنسوخ حق . غير انه خاص بطائفة خاصة فى زمن خاص يجب عليهم أن يؤمنوا به ويعملوا به . ودين الفطرة الذى جاء به رسل الله عليهم السلام . يحدد حركة الإنسان نحو الحلال والحرام التحديد المضبوط . فالمشرع سبحانه . أرسل رسله . وفقا لنمو العقل الانسانى ووفقا للظواهر التى تطفو على سطح هذا الكوكب الذى يعيشون فيه . وويل لمن استحب العمى على الهدى . لأن المشرع سبحانه جعل للإنسان إرادة . وأعده إعدادا . فهو صالح لأن يكون فى مربع التوحيد والشكر . وصالح لأن يكون فى مربع الشرك والجحود . قال تعالى .

---

(١) طه ١١٥ .

(٢) الشورى ٤٣ .

(٣) سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) الاحزاب ٤ .

﴿ إنا خلقنا الإنسان . من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ (١) .

قال صاحب الميزان : فى الكلام تقديم وتأخير . والتقدير . انا خلقناه من نطفة أمشاج فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه . وقوله ﴿ **إنا هديناه السبيل** ﴾ أى يرى آيات الله الدالة على بداية الخلق ونهايته . ويسمع كلمة الحق التى تأتيه من جانب ربه . بإرسال الرسل وانزال الكتب ، فيدعوه البصر والسمع إلى سلوك سبيل الحق . والسير فى طريق الحياة بالإيمان والعمل الصالح . والمراد بالسبيل . السنة والطريقة التى يجب على الإنسان أن يسلكها فى حياته الدنيا . لتوصله إلى سعادته فى الدنيا والآخرة .

إن دين الفطرة ، يأتى به رسل الله عليهم السلام وأساسه التوحيد . وتنطلق جميع تصورات أفراده من هذا الأساس . ليقيموا نظامهم الاقتصادى أو الإدارى أو الصناعى . وفقا للمنهج الإلهى الذى أنزله الله تعالى ووفقا لدائرة الاجتهاد فى هذا المنهج التى يحكمها تعريف الحلال من الحرام . ودين الفطرة . يذكر الإنسان فى داخله بميثاقه الأول .. فأرسل الله تعالى إليه ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ (٢) وفى هذا يكمن معنى العدل ﴿ **ان الله لا يظلم الناس شيئا . ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ (٣) .

ــ وعلى هذا فإن أساس الصراع فى المنهج الإسلامى هو التفكير بمفهوم الحلال والحرام وفقا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله الاكرم ، والعامل المساعد فى هذا الصراع هو الفطرة ــ منحة الله الغالية ــ التى تدل وترشد إلى الطريق الصحيح . وعلى هذا يستوى البدء مع الختام . من فطرة لا يخترقها الشيطان إلى كتاب لا يخترقه الشيطان إلى سنة لا يخترقها الشيطان . وفى هذا يكمن معنى العدل .

والشيطان ليس له على هذا الطريق الا دائرة الإختيار ، تبدأ بصماته

---

(١) الانسان : ٢ ، ٣ .
(٢) النساء ١٦٥ .
(٣) يونس ٤٤ .

عندما تتصارع ارادة الإنسان ويبدأ ينفث سمومه على الطريق المستقيم ، للفكر المستقيم ، كى يفرغ الإرادة المستقيمة . والإرادة القوية التى تنطلق من التوحيد الحق ، يتلاشى من أمامها كيد الشيطان لهذا قال تعالى ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾ (١) لهذا اهتم الإسلام بتربية أفراده التربية التى تحقق فى النهاية إرادة قوية . طمعاً فى طاعة الله تعالى أولا ولعله يفوز بجنته ثانيا .

فالإنسان المسلم ينطلق فى عالم فطرته من التوحيد . ويعبر الدنيا بالشريعة الحق آملا فى اجتيازها بنجاح ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ (٢) طمعا فى ثواب الله يوم القيامة ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ (٣) أما غير المسلم . فلا ينطلق من دائرة التوحيد ، رغم وجودها فيه ، حجة عليه . يقول الله تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله** ﴾ (٤) وقال ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** ﴾(٥) وقال ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ (٦) . فهذه النفوس على جميع أشكالها . تنطلق بمعارفها من دائرة (التعتيم) هم نطقوا بحقيقة . لكن تحركهم لم يستند إلى حقيقة . انما استند إلى تصور آباء وأجداد لم ينزل به من عند الله سلطان . وتحركوا فى هذه الحياة وفقا لهذه التصورات ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وعندما يقفون جميعا أمام عدل الله يوم القيامة ، يجدون أعمالهم هباء ، لا وزن لها ولا قيمة . لانهم شذوا عن القانون والناموس الذى ارتضاه الله لعباده . قال الله تعالى ﴿ **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً . وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا** ﴾(٧) .

---

(١) النساء ٧٦ . (٢) محمد ٣١ . (٣) آل عمران ١٤٢ .
(٤) لقمان ٢٥ . (٥) العنكبوت ٦٣ . (٦) الزخرف ٨٧ .
(٧) الفرقان ٢١ :٢٣ .

فهم يقولون « أونرى ربنا » أى يعترفون بالربوبية . ولكن أين حق الالوهية ؟ لقد استكبروا لما جاءهم الحق . ومن استكبر لا بشرى له . ولا عمل له .

خاتم أنبياء الفطرة

قال تعالى لعباده فى كتابه الكريم ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ (١) أن الرسول الذى يدعو للحياة الشريفة فى الدنيا والآخرة هو محمد رسول الله ﷺ . لقد بعثه الله تعالى آخر نبى للجنس البشرى . لقد جاء نبى الإسلام بعد أن أدت الشجرة الإسرائيلية ممثلة فى أنبيائها عليهم السلام ، دورها بالكامل . والشجرة الإسرائيلية بدأت بمعجزة ، وانتهت بمعجزة وجنس المعجزة الأولى هو جنس المعجزة الأخيرة ، على أساس إذا فتح غلاف الكتاب الأول انطبق عليه الغلاف الثانى للكتاب . لقد بدأت الشجرة . يوم أن بشر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بغلام . وكان إبراهيم شيخا وامرأته عجوزاً . وعند البشرى قالت زوج إبراهيم عليهما السلام ﴿ **قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز . وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله** ﴾ (٢) وبشرت باسحاق ومن بعده يعقوب وهكذا بدأت الشجرة الإسرائيلية . وفتح الغلاف الأول . وفى نهاية الشجرة الإسرائيلية . جاءت المعجزة التى تكمل الأولى . إن العذراء ولدت ابنا ، والعذراء هى مريم ، وابنها هو عيسى عليه السلام ، وعندما جاءت العذراء البشرى ﴿ **قالت رب إنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء . إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ (٣) وأغلق الكتاب . وسلام الله على أنبياء بنى إسرائيل .

وعندما كانت الشجرة الإسرائيلية تؤتى ثمارها . ويأتى انبياؤها بالهدى رسولا وراء رسول . من أجل أن تلين قلوب بنى اسرائيل القاسية . وتخضع رقابهم الغليظة للحق . كان محمد النبى الأمى فى صلب اسماعيل بن ابراهيم عليهم

---

(١) الأنفال ٢٤ .
(٢) هود ٧٢ .
(٣) آل عمران ٤٧ .

السلام (*) . وكان إسماعيل وقتئذ . فى أرض نقية كالفطرة . ولا شجرة فيها ولا ماء . وعندما صاحت أمه هاجر عليها السلام « يا الله ! » انفجر الماء . وفى هذا إشارة إلى أن أمة النبى الأمى لن تقوم لها قائمة إذا انقطع مددها الذى يأتيها من السماء . فهى حيه .. ما دامت مشدودة إلى أعلى . وآخذة بالأسباب . وهى ميتة . إذا تركت الأسباب عندها وفتنت بأسباب غيرها . وإذا عطلت التفكير الفطرى عندها . وافتتنت بلفائف التعتيم الزخرفية التى حجبت النور الحقيقى للفطرة . تلك اللفائف التى وضعتها أصابع الشيطان الخفية . من أجل الصد عن سبيل الله . وكيف تحيا . إذا كانت تسير على أهداف الشيطان وتعرق من أجله وتنطلق إلى غاياته .

من صحراء مكة ، كان الهتاف الأول الذى اقترن ببكاء اسماعيل العطِش « يا الله ! » ومن صحراء مكة خرج النور . يهدر صوته فى كل مكان « يا الله » فتزلزل عرش الطغاة . وارتفعت رايات محمد رسول الحرية . رسول حرية الفكر وحرية العقيدة . تلك الحرية التى تاجر بها الكلاب والذئاب . وتاجر بها أصحاب أعلام الدنس والعار الذين يتمزقون حسدا بمجرد أن يروا أناساً يتطهرون . نعم . جاء محمد . ليضرب بسيف فمه حتى انهارت أمامه جميع الأصنام الفكرية . ويضرب بسيف يده حتى توارى كل من حاول الاعتداء . لم يخرج سيف رسول الإسلام مهاجما . إنما كان خروجه من اليوم الأول وحتى اليوم الأخير . خروج المدافع . عندما تكالب الباطل من اليوم الأول وخرج ليصد عن سبيل الله . ويبغونها عوجا .

جـاء النبى الأعظم ، جاء نبى الفطرة من شجرة إسماعيل بن إبراهيم . عليهما السلام . يقول تعالى لرسوله : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا** ﴾ (١) فهو عليه الصلاة والسلام الابن الشرعى لإبراهيم عليه السلام فى عالمنا المعاصر . بمعنى أن منهجه هو المنهج الوحيد الذى لو عرض على إبراهيم لرفعه فوق رأسه . فإبراهيم لم يكن ليوم واحد يهوديا . ولم يكن ليوم واحد

( ) سنقدم صفات النبى فى التوراة والإنجيل عند ردنا على الآيات الشيطانية .

(١) النحل ١٢٣ .

نصرانيا . إنما كان حنيفا مسلما . لأن الذين نسبوا أنفسهم إلى إبراهيم . لم يعملوا أعمال إبراهيم . والانتساب لا يكفى . إنما العمل هو الذى يكفى . وقديما كان ابن آدم الذى قتل أخاه ينتسب إلى آدم . وكان ابن نوح الذى رفض منهج ابيه ينتسب إلى أبيه ولكن الانتساب لم يغن عنهما من الله شيئا ، وذهبا ، وكانت فى أصلاب أبويهما نطف أخرى ساجدة . خرج منها أنبياء . ونطف أخرى شاكرة . خرج منها صالحون .

إن اليهود لم يعملوا أعمال إبراهيم . والتوراة بها العديد من النصوص . التى تصفهم بالعصيان . وآخر أنبياء بنى اسرائيل . عيسى عليه السلام . وصفهم بالعصيان وقال لهم فى الإنجيل المتداول « أنا أعرف انكم احفاد ابراهيم . ولكن كلامى لا موضع له فيكم . لو كنتم أولاد ابراهيم . لعملتم أعمال ابراهيم » (١) .

وانتهى المطاف به كما جاء فى الإنجيل . انه استسلم لليهود فبصقوا فى وجهه . وضربوه . وجردوه من الثياب (٢) فهل هذه أعمال أبناء ابراهيم ؟ ثم دون النصارى كتبهم . وجاءوا بعقيدة هم على اختلاف فيها . فإذا كانوا هم مختلفين عليها ــ فكيف يقبلها إبراهيم ؟ لقد جاء فى دائرة المعارف الأمريكية ط ١٩٥٩ « ان عقيدة التثليث هى العقيدة المسيحية التى تقول بالطبيعة الثلاثية للإله . وهى عقيدة ليست من تعاليم العهد القديم . ولا توجد فى أى مكان بين ثناياه » (٣) وهذه العقيدة اختلفت فيها طوائف النصرانية . ولم يتم تعريف من هو المسيح وفقا لأطروحاتهم . فهناك من يقول . بأن المسيح هو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس . وهو يساوى الأب والروح القدس فى كل الصفات . وهذا قول الأرثوذكس . أما قول الكاثوليك فى تعريف من هو المسيح : أن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية . وهناك من كان يقول قديما إن المسيح ليس هذا ولا ذاك . وإنما هو بشر . وهو قول آريوس وجماعته . وخلاصة

(١) يوحنا ٨/٣٧ .
(٢) متى ٢٦/٦٧ ، ٢٧/٢٨ ــ ٤٤ .
(٣) حقيقة التبشير / أحمد عبد الوهاب ٨١ .

الأمر يقول تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل الا من بعده أفلا تعقلون** ﴾ (١) .

كيف يكون ابراهيم فى مربع اليهود والتوراة نزلت بعد إبراهيم على موسى عليه السلام . ومن بعد موسى جاء اليهود بثلاثة من التوارة [سامرية — عبرانية — يونانية] ففى توراة السامرة يتوجه اليهود إلى جبل « جرزيم » وتعتبره طائفة السامرة مكانا مقدسا . وفى العبرانية يتعبد يهود أورشاليم ويتوجهون إلى جبل « عيبال » (٢) ويعتبرونه هو المقدس وما عداه باطلا . وهذا الأمر ظل حتى مجىء المسيح بن مريم عليه السلام . ولقد سألته امرأة من يهود السامرة قائلة : (آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون إن فى أورشاليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة . لا فى هذا الجبل ولا فى أورشاليم تسجدون للأب) (٣) وفى هذا إشارة إلى مكان آخر . بعيد عن أورشاليم مكان آخر فى مكة . حيث بيت أقام قواعده إبراهيم خليل الرحمن .

إن رسـول الإسلام ، جاء لينسخ شرائع حكمها ذو أمد خاص فى زمن خاص ، وعندما أغلقت الشجرة الإسرائيلية أبوابها. جاء القرآن ليعلن أن أمد هذه الشرائع بعضها قد انتهى . ولن يعرف الصحيح من غيره فيها . الا باتباع هذا المنهج الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لأن الله قد تولى حفظ كتابه . أما كتب أهل الكتاب . فلقد أخفى الأحبار والرهبان بعضها . وفيها نقص فى أمور وزيادة فى أمور وحذفت منها معالم وتبدلت فيها أسماء . يقول موريس بوكاى عن العهد القديم :

« كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أشعار تراثا شعبيا لا سند له الا الذاكرة . وهى العامل الوحيد الذى اعتمد عليه فى نقل الأفكار » (٤) .

وجاء فى الموسوعة البريطانية عن أصول العهد الجديد :

« ان جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التى كتبت بأيدى مؤلفيها الأصليين

---

(١) آل عمران — ٦٥ .
(٢) التثنية ٤/٢٧ .
(٣) يوحنا ٤/٢٠ — ٢١ .
(٤) دراسات فى الكتب المقدسة ص ٨ .

قد اختفت وأن هناك زمنا لا يقل عن مائتى أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حاليا » (١) .

ولأن النبى محمداً ﷺ هو وريث إبراهيم . ونبى الفطرة . رفض كل الأطروحات التى تم تبديلها أو تغييرها . ورد على كل المقولات كما علمه ربه :

• ﴿ **وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ﴾ (٢) .

• ﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى . قل أأنتم أعلم أم الله** ﴾ (٣) .

• ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . إلها واحدا ونحن له مسلمون** ﴾ (٤) .

وأمر الله جل وعلا رسوله . ان يعالج النفوس التى قام الطابور الطويل بالتعتيم على فطرتها فقال له ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا . فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٥) .

قال صاحب الميزان : « المراد بإقامة الوجه للدين . الاقبال عليه بالتوجه . من غير غفلة . كالمقبل على الشيء يقصد النظر فيه بحيث لا يلتفت عنه يمينا وشمالا . والظاهر أن (اللام) فى الدين للعهد . والمراد بالإسلام وقوله

---

(١) الموسوعة البريطانية ص ٢/٩٤١ ط ١٥ سنه ١٩٨٣
(٢) البقرة ١٣٥ .
(٣) البقرة ١٤٠ .
(٤) البقرة ١٣٠ / ١٣٣ .
(٥) الروم ٤٠ .

(فطرة الله) الفطرة بناء نوع من الفطر بمعنى الإيجاد والإبداع . وفطرة الله منصوب على الاغراء . أى الزم الفطرة . وفى هذا إشارة إلى أن هذا الدين . الذى يجب إقامة الوجه له . هو الذى تهتف به الخلقة . وتهدى اليه الفطرة الإلهية . التى لا تبديل لها . وذلك أنه ليس الدين إلا سنة الحياة . والسبيل التى يجب على الإنسان أن يسلكها . حتى يسعد فى حياته . فلا غاية للإنسان يتبعها الا السعادة . وقد هدى كل نوع من أنواع الخليقة إلى سعادته لفطرته ونوع خلقته . وجُهز فى وجوده بما يناسب غايته من التجهيز . قال تعالى ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ [1] .

وقيل : [أقم وجهك] أى اتبع من الدين ما دلتك عليه فطرة الله ، وهو ما دلك عليه ابتداء خلقه للاشياء . لأن الخالق الأعظم خلقهم وركبهم وصورهم على وجه يدل على أن لهم صانعا قادرا . عالما . أحداً صمداً لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . لا يشبه شيئا . ولا يشبهه شىء . وليس كمثله شىء .

• وإصلاح النفوس التى تاهت فى عالم المادية . هى مهمة المنهج الإسلامى . لأن أصول الفطرة حجة عليهم . وهى مغروسة داخل نفوسهم . ولن تنهض الفطرة عندهم الا إذا حدث زلزال داخل نفوسهم . يدمر أوتاد الباطل وأكسية التغيم وأردية التعتيم . يقول النبى ﷺ « **كل مولود يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه . وينصرانه . ويمجسانه** » [2] وقال « **يقول الله تعالى : إنى خلقت عبادى حنفاء . فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم** » [3] ومهمة المنهج أن يبلغهم فقط . وليس أن يكرههم . فالزلزال يجب أن يحدث من الذى يستقبل ، بعد أن جعله المنهج حرا . أى بعد أن حطم له أصنام الباطل الفكرية . ووضع عقله فى دائرة حرية الرأى الحقيقية . كى يختار المنهج الذى سيقابل الله عليه يوم القيامة .

ـ برنامج الفطـرة

قال تعالى ﴿ **قل إنما أنذركم بالوحى** ﴾ [4] قال صاحب الميزان :

---

(١) طه ٧٠ .
(٢) ، (٣) رواهما الشيخان .
(٤) الانبياء ٤٥ .

« أى أن الذى أنذركم به وحى الله لا ريب فيه . وأن كان لا يؤثر فيكم أثرة . والتى هى الهداية . لأن فيكم صما لا يسمعون الانذار . فالنقص ناحيتكم لا فيه » . أن برنامج الهدى الذى جاء لينتشل الفطرة من عالم المادية . هو المنهج الإسلامى المتمثل فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم . وبرنامج الفطرة لم يأت إلى قوم دون قوم . إنما جاء لجميع بنى الانسان من كل لون وكل جنس وفى كل مكان . لقد جاء لكل صاحب فطرة . وكتاب الله حجة بذاته على كل إنسان ورسول الفطرة الأعظم هو أيضا حجة بذاته على جميع الخلق قال تعالى ﴿ **وأرسلناك للناس رسولا . وكفى بالله شهيدا . من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (١) .

والمعنى : أى يا محمد . صفتك عندنا أنك رسول . ووظيفتك البلاغ . وشأنك الرسالة . لا شأن لك سواها . وليس لك من الأمر شيء حتى تؤثر فى ميمنة أو مشأمة . وكفى بالله شهيدا . فإن من يطيع الرسول . فقد أطاع الله . ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ (٢) .

ان الرسالة هدفها الإنسان . وتتحرك فيه وبه بمفهوم الحلال والحرام . وتتجه به إلى غاية حددها الله ، وتتحرك نحو أهداف الله بوسائل تخضع لأوامر الله . لأنه سبحانه مصدر جميع السلطات . واليه تنتهى جميع القرارات . لأنه جل وعلا مصدر الخلق والتكوين وواهب الحياة . ومقوماتها . فكما أن له سبحانه الخلق والإبداع . كذلك له الأمر والنهى .

وكتاب الإسلام . القرآن الكريم الذى يحوى بين دفتيه برنامج الفطرة . كتاب لا يأتيه الباطل ولا يجد اليه طريقا . وهذا الكتاب الحق جميع الحقائق الموجودة فيه تستند إلى حقيقة واحدة . وهى اصلها جميعا . وهى التوحيد . والقرآن الكريم فيه بيان لكل شيء . . ويجب أن ينهى إليه كل رأى دينى . وهذا الكتاب المعجز لا انحراف فيه فى جميع الأحوال . ولقد وصفه الله تعالى بالذكر الحكيم فقال ﴿ **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** ﴾ (٣) .

---

(١) النساء ٧٩ ، ٨٠ .
(٢) سورة التكوير ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) آل عمران ٥٨ .

فوصفه بالحكيم إشارة إلى عدم وجود نقطة ضعف أو لهو الحديث فيه .[1]

وبرنامج الفطرة يدعو إلى التوحيد . ويربى اتباعه على ذلك . فقول الله تعالى ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[2] قام بتأصيل مفهوم الرقابة والمراقبة عندهم وقوله تعالى ﴿ **وقال ربكم ادعونى استجب لكم** ﴾[3] قام بتأصيل مفهوم العبادة الحقه فلا وساطة بين الله وعباده . وبهذا انقطع الطريق على جميع الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل . وقوله تعالى ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾[4] قام بتأصيل حب الشهادة . ونثر الروح فى سبيل المعبود جل وعلا .

والفكر فى برنامج الهدى . فريضة . وينطلق من كتاب الله . وينبغى أن يعود إليه فى جميع الأحوال . لأن الفكر الإسلامى فكر عقائدى . ينبع من العقيدة . وهذا الفكر . لا ينطبق لا مع الفكر الغربى ولا مع الفكر الشرقى . ولا يتبع أحدهما ولا يحتاج إليهما . لأنه يخاطب الروح والجسد ويجمع بين العقل والوجدان ويربط بين الجميع برباط التوحيد . لا يقف عند كيف ؟. لكنه يبحث أيضا عن لماذا ؟ لأن الطريق بين كيف ؟. يخضع فى البرنامج الإسلامى لمفهوم الحلال والحرام . والفكر الإسلامى قادر على المواجهة الصريحة والوقوف بشجاعة أمام العقائد . والأفكار المختلفة . ولذا فالإسلام لا يمنع الآخرين من إبراز عقائدهم . لأن المسلم يؤمن أن حراسة الإسلام لا تأتى إلا عن طريق قوة واحدة . وهى قوة العلم الذى يقيم الحجة فى كل ميدان من ميادين الحياة . وليس معنى أن الإسلام لا يمنع الآخرين من إبراز عقائدهم . إنه يفتح الباب على مصراعيه لحرية التآمر وحرية النفاق . وحرية تجول المرتزقة على أرضه لنشر المبادىء التى تمولها البنوك الدولية ، إنما نقصد أن الإسلام يسمح بالفكر الذى يطرح أساليب للحياة . وليس الذى يعمل على تجنيد المرتزقة باسم يسوع أو يرفع اللافتات الماسونية البراقة تحت أسماء جديدة . بدعوى خدمة المجتمعات والحقيقة . إنها تدمر هذه المجتمعات وفقا لخطة ما أقرتها طائفة ما .

إن الفكر الإسلامى قادر على مواجهة أى فكر آخر . مواجهة صريحة

---

(١) سيأتى الحديث عن القرآن عند ردنا على آيات شيطانية .　　(٢) سورة الحديد : ٤
(٣) سورة غافر : ٦٠ .　　(٤) سورة الأنفال : ١٠ .

واضحة فإذا توافرت فى هذه المواجهة حرية حقيقية . لا حرية النفاق والتآمر . فإن الإسلام ينمو أكثر وأسرع . والقرآن الكريم ضرب الأمثلة العديدة فى حواره مع الكفار والمنافقين ومن علقت بأديانهم شوائب الضلال وقام بتفنيد هذه الادعاءات جميعا ورد عليها . إننا لا نخاف على الإسلام من الاقلام . ولكننا نرفض أن يكون وراء هذه الاقلام . صندوق النقد الدولى . وحلف الناتو . ومجلس الأمن . نحن نريد فكراً يطرح كفكر . ولا نريد مؤامرة تطرح من أجل الصد عن سبيل الله .

والمنطلقات الفكرية فى برنامج الفطرة لها وجوه عديدة . فالفكرة هدفها الأول تحرير الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد . وتحرير الإنسان من هذه العبودية . يقتضى أولا تدمير الأصنام الفكرية التى حوله وتعريتها . كى يقف الإنسان حرا . بلا قيود . أمام المنهج الإلهى ويحدد مصيره . فتحديده هذا . سيترتب عليه تحديد المكان الذى سيقف فيه يوم القيامة . جنة أم نار . وما الله بظلام للعبيد . وتحقيق الحرية للإنسان من أجل أن يختار ورد فى القرآن بصور متعددة .

ونحن إذا أردنا أن نأخذ أمثلة على هذا ، فأول مثال . موقف إبراهيم عليه السلام . وقصته معروفة . كان فى زمانه اناس يعبدون الأصنام . وفى أحد أعيادهم خرج هؤلاء الناس جميعا . وبقى إبراهيم وحده . ثم اغتنم ابراهيم هذه الفرصة . وأخذ فأسه وذهب إلى الأصنام وحطمها جميعا . عدا صنماً واحداً . تركه ووضع الفأس فى رقبته . وعندما عاد القوم . تصايحوا . وبحثوا عن الفاعل حتى وصلوا إلى إبراهيم . وعندما سألوه : من فعل هذا يا إبراهيم ؟ قال : إسألوا هذا الصنم إنه هو المجرم الحقيقى ؟ فردوا عليه : إن الصنم لا يستطيع القيام بهذه المهمة ؟ فقال لهم : كيف لا يمكنه الدفاع عن نفسه ويمكن له ولغيره من الأصنام قضاء حوائجكم ؟!

يقول تعالى :

﴿ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ (١)

يقول صاحب مقالات حول الثورة :

---

(١) الأنبياء ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

أنظر إلى قول « فرجعوا إلى أنفسهم » لقد ردهم إلى أنفسهم . فما لبثوا إلا أن شهدوا على أنفسهم بالظلم . لأن النفس الحقيقية هي العقل والتفكير الخالص الحر . الذى يستقيم مع مخزون الفطرة . ليس المقصود بأنك تضعه أمام نفسه . أن يؤمن فى النهاية ولكن غاية المنهج أن يجعله حرا مختارا .

• وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد حطم الأصنام . كى يجعل الإنسان حراً ويفكر التفكير الحر الذى يستقيم مع المنطقة العذراء فى نفسه . بعد أن يرفع عنها الاكسية النفسية التى صنعتها الأهواء والأكسية المادية التى كومتها الأصول الوثنية على امتداد تاريخ عجل بنى إسرائيل . إذا كان إبراهيم قد مهد السبيل للفكر الحر . فإن القرآن الكريم فى موضع آخر . يسلط إشعاعه على المنطقة العذراء ، التى غرس فيها الميثاق غرسا . من أجل أن ترتعد خوفا من الله . وطمعا فيه . يقول تعالى :

﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا . أفمن يلقى فى النار خير . أم من يأتى آمنا يوم القيامة إعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ (١) .

إنها المواجهة بالزجر ! لا تحتاج إلى مفسر يفسرها . فالآية تخاطب كل من له أذنان للسمع . كل إنسان فى أى مربع ثقافى . أى طريق أصح ؟ الذى ينتهى إلى النار أم إلى الجنة ! إن الآيات وضعت النهاية أمام البداية .

إن العقيدة الإسلامية . لها مرتكزات تنطلق منها من أجل أن تصل إلى أهداف محددة . والفكرة الإسلامية ميدانها هو الفطرة . تماما كمنهجها . فالفكر هو فى أساسه دعوة لا تقهر أحدا على قبولها . وهذا نراه فى رسائل النبى ﷺ إلى زعماء زمانه . فلقد خاطب الرسول الأعظم فطرة هؤلاء الزعماء . ولم يخاطب مناصبهم . نراه ﷺ يخاطب قادة الروم برسالة بدأها بقول الله تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢) .

---

(١) فصلت ٤٠ .
(٢) آل عمران ٦٤ .

فالرسالة تدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينهم وبين المسلمين . والرسول الاكرم بدأ الرسالة بهذه الآية لهرقل (١) . يدعوه إلى كلمة سواء بينه وبينه . فما هي هذه الكلمة التي تلتقي عليها الفطرة لبني الإنسان كافة ؟ أنها الكلمة المغروسة في أعماق الفطرة﴿ **ألا نعبد إلا الله . ولا نشرك به شيئا** ﴾ فإذا رفض أصحاب البصيرة المطموسة هذه الدعوة . فليشهدوا أن أصحاب هذه الدعوة مسلمون . وعلى أنهم مستمرون على الإسلام الذي شرعه الله . ولكن كيف يشهدون بما لم يقبلوه ؟ ان الشهادة بفطرتهم ستحدثهم بأن هذا هو الحق . وكما أن فطرتهم حجة عليهم . وشاهد عليهم . منذ عالم الذر في الغيب المخبوء ، ستكون هي وسمعهم وأبصارهم حجة عليهم في عالم المشاهدة المنظور . ان الدعوة « كلمة سواء بيننا وبينكم » أي عدل نستوى نحن وأنتم فيها . أن لا نعبد إلا الله . لا نعبد وثناً ولا صنماً ولا صليباً . ولا طاغوتاً . ولا ناراً. ولا شيئا . بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له . وهذه دعوة جميع الرسل . ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾(٢) ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾(٣) . هذه هي الكلمة . في برنامج الفطرة . فهل وجدتم فيها أي قهر ؟ هل لوح المسلمون بسياسة التجويع أو التخويف لكل من رفض فقههم ورسالتهم ؟ هل تقدمت خيولهم وأرغمت كلًا من الروم والفرس على اعتناق الإسلام . لم يحدث هذا بدليل أن نسل اليهود والنصارى لم ينقطع من منطقة الشرق الإسلامي . ولقد شهد علماء الحضارة . بأن أهل الذمة كانوا يتمتعون بكامل حريتهم داخل الأراضي الإسلامية . يقول الأستاذ آدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية :

« كان أهل الذمة يتعاملون في بغداد معاملة المسلمين . (٤) وعندما استولى الروم على ملطيه بعد حصار طويل للمسلمين . صنع القائد الروماني خيمتين على احدهما صليب . وقال للمسلمين : من أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب . وسنرد عليه أهله وماله . ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وليس له إلا الأمان على نفسه ويبلغ مأمنه . فإنحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها

(١) ابن كثير ٢/٤٦ . (٢) الأنبياء : ٢٥ .
(٣) النحل : ٣٦ . (٤) الحضارة الإسلامية ١/٩٢ .

الصليب . طمعاً فى أهليهم وأموالهم . وأما الباقى فسير بطريقا يبلغهم مأمنهم » (١) .

إن الإسلام لم يفعل ذلك . لأنه دين الحرية .

مستقبل برنامج الفطرة

إن القرآن كتاب سماوى . إنه الوحى المجسم المخطوط وكل من يدعى أنه لا توجد معجزة فى هذا الكتاب السماوى . فأعتقد . إما انه جاهل ولا يفهم شيئا . أو أنه يكذب وليس بمسلم . والقرآن الكريم أخبر بانتصار الإسلام فى وقت كانت الامبراطورية الفارسية الكافرة فى عز شبابها . كما كانت امبراطورية الروم المشركة فى أوج عظمتها . ولقد رأينا كيف تحققت سنة الله هذه . وانهزمت الأمبراطوريتان فى ذلك الوقت وعلى امتداد التاريخ بعد بعثة النبى ﷺ . يكرر القرآن هذا المفهوم . الذى اطلقه بصدد سقوط الحضارات الظالمة . وانتصار الإسلام عليها . باعتبار أنها سنة إلهية متكررة . وليس باعتبارها حادثة يتيمة فى التاريخ .

ـــ وحكمة الفناء ! يقول فيها صاحب المقالات :

إن للفناء حكمة . فالله تعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا . ولم يوجده هباء . إنما خلقه للرجوع إليه . قال تعالى ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ (٢) إن الإنسان كمخلوق من خلق الله . حددت له غاية وهو يمتحن على امتداد الطريق إلى هذه الغاية . والله تعالى . يهلك من سقط فى الامتحان . وهذا الهلاك يعبر عن إتقان الصنع فى الفرد والنوع . فهو يدمر أمة ليريح آخرين . أو يدمر أمة ليأتى بآخرين . يكونون أهلاً لحمل الرسالة . قال تعالى ﴿ **وربك الغنى ذو الرحمة . إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** ﴾ (٣) وسنة الفناء أو سنة الابتلاء والانتقام التى أخبر الله عنها . سنه غير مغلوبة ولا مقهورة .

---

(١) المصدر السابق ٢/١٤٤ .
(٢) المؤمنون ١١٥ .
(٣) الأنعام ١٣٣ .

﴿ **ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** ﴾ (١) .

ــ ان الانتصار على امتداد التاريخ الإنسانى كان لبرنامج الفطرة الذى جاء به رسل الله عليهم السلام . ولا يغرك كثرة الباطل . واليوم . فإن البرنامج الإسلامى . قاهر . غالب . ولو كره المجرمون . لأنه يرفع راية الحياة الحرة الشريفة ويقف اتباعه على أرض تحتوى تربتها على كل صفة جميلة . كالفتح والظفر والثبات والاستقرار والأمن والتأصل والبقاء . أما المربعات الأخرى . التى جرت فى دمائها وثنية القديم والحديث . فإنها تقف على أرضية تحتوى تربتها على كل قبيح وعلى كل شقاء . تحتوى على البطلان والتزلزل والخوف والزوال .

والإسلام حق . والحق نفسه لا يقابل الا الضلال والباطل «**فماذا** بعد الحق الا الضلال » ومن المعلوم أن الباطل لا يقاوم الحق . فالغلبة لحجة الحق على الباطل .

﴿ **قل جاء الحق . وما يبدىء الباطل وما يعيد** ﴾ (٢) .

﴿ **قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب** ﴾ (٣) .

﴿ **فتوكل على الله . إنك على الحق المبين** ﴾ (٤) .

***

---

(١) الأنفال : ٨

(٢) سبا ٤٩ .

(٣) سبا ٤٨ .

(٤) النمل ٧٩ .

ثانيا : بذور الشر وإعلام الشيطان

ما هو الطريق الذى اتخذه الشيطان من أجل أن يقيم دولته ؟ أن أول لبنة على هذا الطريق هو التغيم والتعتيم على نور الفطرة . بوضع غلالات براقة داخل النفس الإنسانية . هذه الغلالات هى التى تمد إنسانها بالزيت الذى يشيد به تصوراته فى الحياة الدنيا . ثم يدفعه إلى نار جهنم فى الآخرة .

كانت البداية عندما أمر الله تعالى إبليس بأن يسجد لآدم . فاستكبر وكان من الكافرين . وعلى هذا الموقف كان الحكم الإلهى :

﴿ **قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين** ﴾ (١) .

وأمام هذا الطرد . وهذه اللعنة كشف الشيطان عن وجهه الكالح وعن اساس برنامجه الكافر . وبرنامج الشيطان لم يطرحه الشيطان بعشوائية لأنه برنامج لم ينطلق من فراغ . ولا ينتهى عمله إلى فراغ . لأن مؤسس علم الغواية نظم مدارس هذا العلم . وجعل لهذه المدارس أهدافاً محدده تصب جميعا فى نهاية المطاف فى نار الله الموقدة . فالشيطان عندما طُرد من أجل آدم . عز عليه أن يدخل النار وحده . فهذا هو المنطلق الذى من أجله وضع برنامجه .

برنامج الشيطان

إن البرنامج لا ينطبق من قريب أو من بعيد على جميع رسل الله وأنبيائه عليهم السلام . لأنهم حملة رايات الهدى للمناهج السماوية . فالرسول أو النبى . مؤيد بالعصمة فى أخذ الوحى من ربه . وفى حفظه وفى تبليغه إلى الناس . فهو معصوم من الخطأ فى الجهات الثلاث كذلك فهو معصوم أثناء تبليغه الرسالة فى قوله وفعله . لأن فى الفعل تبليغا كما فى القول والقرآن عندما حدد دائرة الشيطان . لم يضع للشيطان الأكبر أى موضع قدم فى عالم الرسالة الإلهية . بمعنى . أن الشيطان الأكبر لا يواجهه الرسول أو النبى مباشرة . انما يواجهه ببعض تلاميذه من شياطين الإنس أو الجن . قال تعالى :

---

(١) الحجر ٣٥ .

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ [1] .

قال فى الميزان : والمعنى جعلنا لكل نبى عدواً هم شياطين الإنس والجن (والجن . هو نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة . مستورة عن حواسنا بحسب طبعها . ويذكر القرآن أن أبليس الشيطان من جنسهم) يشير بعضهم إلى بعض . وكأن المراد وحى شياطين الجن بالوسوسة والنزعة إلى شياطين الإنس . ووحى بعض شياطين الإنس إلى بعض آخر منهم بأسرار المكر والتسويل . بأقوال مزوقة وكلمات مموهة لغرورهم واضلالهم بذلك وقوله تعالى **﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾** يشير بذلك إلى أن حكم المشيئة عام جار نافذ فكما أن الآيات لا تؤثر فى إيمانهم شيئا إلا بمشيئة الله ، كذلك معاداة شياطين الإنس والجن للأنبياء . كل ذلك بإذن الله ولو شاء الله ما فعلوه .

أن الشيطان يدفع تلاميذه بين الذين آمنوا . يثيرون النعرات القومية أو الطائفية . ويطلقون الشائعات على رسل الله . فهذا فقط عمل الشيطان فى مواجهة صاحب الرسالة السماوية عمله الوحيد التقهقر . ودفع كلابه وذئابه على امتداد التاريخ لمواجهة انبياء الله . وبعد أن يؤدى النبى رسالته . وينتهى اجله . يتحرك الشيطان بقوافله التى صنعها . ويضرب فى أمنية الرسول .. التى كان يتمناها وهو على قيد الحياة وكل رسول من الرسل . كان يتمنى بأن يؤمن كل البشر . لينالوا ثواب الله . فالرسول أو النبى . يرى بعينيه أو بقلبه حقيقة هذا الثواب فيعز عليه أن يقاومه الناس . ويريد منهم أن يتبعوه ليتمتعوا بنعيم الله . ولكن تلاميذ الشيطان يريدونها عوجا . فيلقون بأطروحاتهم على الساحة بعد موت الرسول . فتشرب هذه الساحة تصورات الشياطين . وتقيم العبادات التى يزينها الشيطان . وفى العديد من الأحوال . تأخذ هذه العبادات الطابع الدينى إمعانا فى الفتنة ، كى يهرول الناس إليها وإلى اضرحتها وأصنامها لتتسع رقعة الشذوذ طمعا فى السيطرة الكاملة على رقعة التمنى التى كان الرسول يتمناها لأتباعه . وطمعا فى تحول رقعة

---

(١) الانعام ١١٢ .

التمنى هذه إلى رقعة التمنى التى يتمناها الشيطان . ولكن الله تعالى . يضرب هذه الأصنام وهذه التصورات التى اخترعها الشيطان . ويكشف زيف طابعها الدينى . الذى لم ينزل به من عند الله سلطان . بأن يرسل سبحانه الرسول أو النبى على رقعة التمنى للرسول أو النبى السابق . تلك الرقعة التى القى فيها الشيطان بعجوله . وأصنامه . فينسخ الله ما يلقى الشيطان . ويحكم سبحانه آياته على لسان رسوله . ومع تحكيم الآيات . يصير ما ألقى الشيطان شذوذا . طارئاً قذراً . وهذا الشذوذ لا يذهب إدراج الرياح إنما يلتقطه تلاميذ جدد . تلاميذ من المنافقين أو من القاسية قلوبهم . ليطرحوه مرة أخرى فى ثياب أخرى . وبمجىء النبى الأمى ﷺ . نسخ الله تعالى كل ما القته الشياطين على أرض الأمانى لرسل الله جميعا . وثبت الله آياته . بالكتاب الحق . قال تعالى لرسوله ﴿ **تا الله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . فزين لهم الشيطان أعمالهم** ﴾ [(١)] لقد ضرب كتاب الله تعالى كل الدجل الذى جرى فى الوديان المفتوحة قبل رسالة الرسول الأعظم ﷺ . وكشف كتاب الله تعالى كل محاولات الدجل التى ستطل برأسها فى المستقبل حتى يكون المسلم على بينة من أمره . وبعد أن أدى رسول الله امانته . وانتقل إلى الرفيق الأعلى . بدأت جيوش المنافقين تزحف وبدأ القاسية قلوبهم يخططون من أجل مسح رقعة التمنى للنبى الأعظم . ولكن سيذهب النفاق يوما . وسينطق كل حجر يختبىء وراءه واحد من القاسية قلوبهم . وكل هذا عندما يشاء الله . وكل موعد فى الدنيا قريب .

﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ، إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته . والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . وإن الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم . وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** ﴾ صدق الله العلى العظيم !

ولكن ما هو برنامج الشيطان على الأرض ؟ .

---

(١) النحل ٦٣

(٢) الحج ٥٢ ــ ٥٤ .

أن هذا البرنامج هو أسوأ برنامج عمل على امتداد التاريخ البشرى . وضعه الشيطان ، ومنه ينطلق تلاميذ الشيطان الذين يعرفون والذين لا يعرفون والخطوط العريضة لهذا البرنامج هى :

- تزيين الأرض .
- إفشاء المنكر .
- تكميم الافواه .
- رصد الآمرين بالمعروف .
- **(١) تزيين الأرض :**

﴿ قال رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ﴾ (١) .

ان مقدمة الشيطان بتزيينه فى الأرض تعنى وضع حجر الأساس لدولة الشيطان التى ينتظم فيها تلاميذ وطوابير الشيطان . تلك الرقعة التى شذت عن نور الفطرة وانتظمت فى جيش واحد . مختلف اللافتات . لأن مهمته مهمة واحدة . هى الصد عن سبيل الله ومحاربة الله ورسله . يقول تعالى **﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾** (٢) فالذى على الأرض لم يوجد عبثا . إنما أوجده الله تعالى لينظر ماذا سيفعل الإنسان ؟ لأن الأرض وما عليها دار اختبار لا دار قرار . ولكن الشيطان اعتمد خطة التزيين التى تجعل الأرض فى فكر اتباعه دار قرار . فإذا كان الشرع الحكيم قد حدد الحلال والحرام للتعامل على هذه الأرض . فإن الشيطان قد حدد تحبيب المعاصى فى الأرض لبنى الإنسان . وترغيبهم فيها . والشيطان الذى يريد للشذوذ أن يكون قاعدة . يلتقط المعاصى ويزينها فى غلافات براقة ويدفعها . حتى يألفها الناس . وعندما يألفونها سيحرصون عليها وسيقاتلون من أجلها .

افشاء المنكر

﴿ .. ولأضلنهم . ولأمنينهم . ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ (٣) .

---

(١) الحجر ٣٩ .
(٢) الكهف ٧ .
(٣) النساء ١١٩ .

إفشاء المنكر فى الفقه الشيطانى يعنى الاقتحام بالشذوذ . من أجل إقامة الأوضاع الفاسدة التى يحافظ الناس عليها . وإقامة الفكر الفاسد الذى يمدهم بتصوراتهم فى الحياة . ليواجهوا فيما بعد تصورات المناهج السماوية . وأول لبنة فى هذا الصرح (لأضلنهم ولأمنينهم) أى لأضلنهم بالاشتغال بعبادة غير الله . واقتراف المعاصى ولأغرنهم بالاشتغال بالآمال والأمانى التى تصرفهم عن الاشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم . ولآمرنهم بتحريم ما أحل الله . ولآمرنهم بتغيير خلق الله . مثل الاخصاء وأنواع المثلة واللواط والسحاق . وبالخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف .

فإذا وجد اللواط ــ ورفع له الإعلام . وصارت له دول . فلابد من تدوين الدساتير التى تحمى هذا الشذوذ ويعتبر كل خارج عن هذه القوانين خارجاً على القانون . وليس هذا فقط . إنما يعمل البرنامج الشيطانى من أجل تصدير هذا الشذوذ إما فى صورة قوانين وإما فى صورته المادية . أى تصدير اللواط وما شابهه . ليكتسب الشذوذ عن الفطرة كل يوم أراضى جديدة . وعالم المنكر له مفكروه . ومنظروه . فعبادة غير الله لها مدارس ومعاهد وجامعات . واقتراف المعاصى له فلاسفة يفلسفون كل شىء .

﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ (١) .

﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ (٢) .

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ (٣) .

﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (٤) .

تكميم الأفواه

﴿ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ (٥) .

---

(١) النساء ٣٨ .
(٢) النساء ١١٩ .
(٣) الانعام ١٢١ .
(٤) المجادلة ١٩ .
(٥) الاسراء ٦٢ .

قال فى الميزان « لاحتنكن » أى لا الجمن ذريته الا قليلا ، أتسلط عليهم تسلط راكب الدابة الملجم لها عليها .يطيعوننى فيما آمرهم ويتوجهون إلى حيث أشير لهم ، من غير أى عصيان وجماح . بعد ان قام بتلجيم العقول ولم تعد قادرة على النظر فى كون الله نظرة فطرة . نظرة بصيرة . قام بتكميم الأفواه . أى لا أمر بمعروف . ولقد استثنى هنا فقال « إلا قليلا » وهذه الفئة المستثناة هى طائفة الحق . التى تقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على امتداد التاريخ ولا تخشى فى الله لومة لائم . وهم قليل حول الرسل . وقليل بعد الرسل ولله الأمر . وتكميم الأفواه فى الجانب الشيطانى . يعنى أن أفراد معسكره . باتوا ﴿ **يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** ﴾ (١) وجند الشيطان والذين يساعدونه لن يسمحوا بأى ورقة تكتبها أى فئة ، تطالب فيها بالطهارة ، لأن إبليس يركب ركوبته . ويبحث عن أى أناس يتطهرون .

رصد الآمرين بالمعروف

﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم . ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾(٢) قال المفسرون : أى لأجلسن على صراطك المستقيم وسبيلك السوى . الذى يوصلهم إليك وينتهى بهم إلى سعادتهم ، ولأن الجميع سائرون إليك ، سالكون لا محالة صراطك المستقيم . فالقعود على الصراط المستقيم . كناية عن التزامه والترصد لعابريه ليخرجهم منه . وأنه سيأتيهم من كل جانب من جوانبهم الأربعة .

إنه الحصار الذى يضغط بكل قواه حتى لا يبقى لله شاكر. إنه الحصار الذى يعمل من أجل ربط جميع الرايات هنا وهناك به . حتى إذا جاءت ضائقه لم ترفع راية أيديها إلى السماء . وإنما تتوجه بقلبها وعقلها إلى الشيطان (ولا تجد أكثرهم شاكرين) استثنى هنا أيضا قلة .

وهذا هو البرنامج الشيطانى . برنامج التعتيم ، والتغييم ، والتلجيم ، والتكميم . البرنامج الذى سيرفع أتباعه فيما بعد راية اسمها حرية الفكر . أو حرية الرأى .

---

(١) محمد ١٢ .
(٢) الأعراف ١٧ .

إن الشيطان يوم أن أعلن برنامجه قال له الله تعالى :

﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . وكفى بربك وكيلا** ﴾ (١) .

قال ابن كثير : المراد [بعبادى] هنا أعم من [المخلصين] الذين استثناهم إبليس فى سورة « ص » ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ومعنى الآية أن ما ذكرت من أنك ستغويهم أجمعين . واستثنيت منهم من استثنيت وأظهرت نسبته إلى قوتك ومشيئتك . زاعما فيه أنك مستقل به . أمر لا يقوله إلا أنا . ولا يحكم فيه غيرى . ولا يصدر إلا عن قضائى . فإن أغويت فبإذنى أغويت . وإن منعت فبمشيئتى منعت فليس إليك من الأمر شىء . ولا من الملك إلا ما ملكتك . ولا من القدرة إلا ما أقدرتك . والذى أقضيه لك من السلطان . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك .

والآن من الذى يحمل راية الشيطان فى عصرنا الحديث ؟ من الذى زين فى الأرض . وزرع الشهوات ؟ هل للإسلام هنا راية . معاذ الله . ان راية الإسلام هى راية الهدى على هذه الأرض . من الذى فتح أبواب الشهوات واعتبرها عنواناً للحضارة الديمقراطية ؟ من الذى يعمل على تصدير الشذوذ وحماية هذا الشذوذ بالسلاح وبحق الفيتو وبسياسات التجويع والتخويف .

من الذى وضع سياسات التضليل ويقاتل من وراء أجهزة الإعلام من أجل تغيير الفطرة وفرض مذاهب من كل لون ؟ ومن الذى لجم الأفواه هناك ، وأغلقت مكتفية بالدنس والعار ويعمل من أجل تلجيم الأفواه فى المنطقة الإسلامية .

من الذى جلس يصد عن سبيل الله . ويلقى باتهامات تصف المسلمين بالإرهاب . بعد أن اعتبر المطالبة بالحقوق من جانبهم عملا شاذاً ؟ ثم من الذى كتب كتاب الآيات الشيطانية ؟ أمس واليوم والغد ؟ إن الأصابع التى وراء كل هذا هى أصابع شيطانية .

﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٢) .

---

(١) الاسراء ٦٥ .

(٢) يوسف ٢١ .

﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ (١) .

ـ تحذيرات إلهية

بعد أن حدد الله تعالى فى كتابه منطلقات النور ومنطلقات الظلام . أرشد عباده إلى الصراط المستقيم . وحذرهم من اتباع خطوات الشيطان . وبين سبحانه أن رحمته أوسع من غضبه . وأنه يجب ألا ييأس أحد من رحمة الله . لأن العذاب لا ينزل إلا على بعض الناس . أما رحمته فتشمل جميع الموجودات . لقد بين أن كيد الشيطان ضعيف . وأنه مقهور أمام المؤمن الضعيف . ولما كان الشيطان عدوا للإنسان لا يراه . فلقد سلح الله تعالى عباده بسلاح داخلى وهو الفطرة ، وبسلاح خارجى وهو المنهج الإلهى . وسلاح غيبى وهو الدعاء . لهذا قضى الله أن تتزلزل الأرض من تحت أقدام الشيطان وتلاميذه الصغار والكبار . وإن أى انتصار يحرزه جند الشيطان . ما هو إلا انتصار فتنة . وليس انتصار حق . لأن النصر من عند الله العزيز الحكيم ، والله لا يعطى نصره لباطل ، ومن تحذيرات الله تعالى التى جاءت فى كتاب الله العزيز :

قوله تعالى :

﴿ .. ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾ (٢) .

قال فى الميزان : المراد بالعهد .. عهده تعالى إليهم فى عالم الذر حيث قال « الست بربكم ؟ قالوا بلى » ان العهد الذى هناك هو عين العهد الذى يذكرهم به ربهم فى هذه الآية . والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس ويأمر به . إذ لا طاعة إلا لله . أو من أمر بطاعته ..

إنه العدل المطلق . بدايات تستقيم مع نهايات . إن ميثاق الفطرة المغروس فى أعماق أعماق النفس الإنسانية . حجة بذاته . يشع بالهدى اذا غذى صاحبه فى نفسه ملكة البصيرة والتفكر والتعقل ، لأن أسس الصراع الحق هى التفكير

---

(١) المؤمنون ٩٨ .
(٢) يس ٦١ ، ٦٢ .

والتفكر . وأسس الصراع فى الإسلام لا تمت بصله لأسس ماركس وكونت وسان سيمون وأشباه هؤلاء . الذين يلوحون بالرغيف والمرأة . إنما هى فى الإسلام . فكر يدور فى صراع داخل مربع الحلال والحرام . وبقدر صدق هذا الفكر تشع عليه فطرته فتنير له الطريق أكثر .

إنه عهد قديم ! « ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل . وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون . كذلك نفصل الآيات (ولعلهم) يرجعون » .

الفكر فى برنامج الشيطان

إن العمود الفقرى لدائرة الفكر الإبليسية تزيين الأمور الباطلة الرديئة الشوهاء . بزخارف وزينات تجذب إليها كل لب . وكل ذلك يدل على أن ميدان عمله هو الإدراك الإنسانى . ووسيلة عمله العواطف والإحساسات الداخلية . فهو الذى يلقى الأوهام الكاذبة والأفكار الباطلة فى النفس الإنسانية كما يدل عليه قوله ﴿ **الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس** ﴾ (١) .

ومن أبرز معالم الفكر فى برنامج الشيطان . أنه فكر بلا هدف : ولا يحمل أصحابه أى رسالة والدليل فى صورة سيدهم يوم القيامة .

﴿ **وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى . فلا تلومونى ولوموا أنفسكم . ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى . إنى كفرت بما أشركتمون من قبل . إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ (٢) .

قال فى الميزان : هذا السياق يشهد أن تابعى إبليس يلومونه يوم القيامة على ما أصابهم من المصيبة على اتباعه . متوقعين منه أن يشاركهم فى مصابهم . وهو يرد عليهم ذلك بأنه لا رابطة بينه وبينهم فلا يحق لومهم إلا بأنفسهم . ولا يسعه أن يقترب منهم لأنه يخاف العذاب الأليم الذى هيىء للظالمين . وهم

---

(١) الناس ٤ ، ٥ .
(٢) إبراهيم ٢٢ .

ظالمون ـــ وبالجملة ـــ إن الإنسان هو المسؤل عن عمله ، لأن السلطان له لا لغيره فلا يلومن إلا نفسه . وهو قوله (وما كان لى عليكم من سلطان) أى ما كان فى الدنيا لى عليكم من تسلط لا من جهة أشخاصكم وأعيانكم . فأجبركم على معصية الله بسلب اختياركم . وبجعل إرادتى عليكم ولا من جهة عقولكم . فأقيم لكم الحجة على الشرك . كيفما شئت . فتضطر عقولكم لقبوله . وتطيعها نفوسكم فيما تأمرها به » .

هكذا ، ينتهى المطاف بالدولة الشيطانية . سارت فى الدنيا وراء الشهوات . وضاع سعيها كله إما فى مخادع النساء وإما فى دورات المياه . لم يجد فلاسفة الشيطان ومنظروه وعماله وجنوده وتلاميذه أى ثمرة لهم فى عالم الثواب . إلا ثمر الزقوم فى نار جهنم خالدين فيها .

وإذا أردنا أن نلتقط أهم فقه داخل الموسوعة الشيطانية كى نتفحص ما تحتويه من فكر ، فليس أمامنا إلا « فقه العجول » فهذا الفقه تم تأسيسه أيام موسى عليه السلام عندما ذهب إلى ميقات ربه . ورجع فوجد بنى اسرائيل قد أقاموا عجلا ، وظلوا يطوفون حوله ويترنمون وغضب موسى عليه السلام . ونسف هذا العجل فى اليم نسفا . ولكن العجل لم يمت فى قلوب القوم فظل المنافقون من بنى إسرائيل والكفار منهم ، على عهدهم للعجل .

﴿ قالوا سمعنا . وعصينا (وأشربوا) فى (قلوبهم) العجل بكفرهم ﴾ (١) .

لقد سرت روح العجل فى دماء الذين لم يؤمنوا برسل بنى اسرائيل عليهم السلام . وسرت فى أبدان ودماء المنافقين ، ذلك الطابور الطويل الذى طال عليه الأمد . قال المفسرون : **﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل ﴾** الإشراب هو السقى والمراد بالعجل حب العجل . وضع موضعه للمبالغة . كأنهم قد أشربوا نفس العجل » .

إن هذا الطابور يخطىء من يظن أنه انتهى يوم أن نسف موسى عليه السلام العجل فى اليم . إن العجل نسف نعم ، ولكنه كان داخل القلوب ، ولم يجهر

---

(١) البقرة ٩٣ .

أحد بعبادته أمام أنبياء بنى اسرائيل . بل سار طابور العجل فى صمت وخبث يحملون أوزارهم من جيل إلى جيل . وعلى وجوههم علامة الذل . يقول الله تعالى ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم (وذلة) فى (الحياة الدنيا) وكذلك نجزى المفترين** ﴾(١) فمن الآيات الكريمة نرى أنهم جميعا لم يموتوا بعد نسف العجل . لأن الله توعدهم بذلة فى الحياة الدنيا . وعندما جاءت الرسالة الخاتمة التى يحمل لواءها محمد ﷺ كان لأصحاب فقه العجل أثر على الأرض . فذكَّره القرآن بهم وكشف صك المذلة الذى ضربه الله على وجوههم نظير عبادتهم العجل . يقول تعالى :

﴿ **ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا** ... ﴾ (٢) .

فقه العجول علامة اتباعه . الذلة . وستظل هذه العلامة مضروبة عليهم من يوم العجل حتى يرث الله الأرض إلا أن يؤمنوا برسالة النبى الخاتم ﷺ . هم أذلاء . ولو صعدوا إلى القمر وحلقوا حول النجوم ، وفقه العجول مهمته على امتداد التاريخ سن القوانين الخاصة بالعجول . التى يراد لها أن تعبد من دون الله . ومهمته أيضا تلميع العجول وزخرفة اسمائها كى يجتمع عليها الناس وينهى بهم المطاف إلى وحل دائم . وحل من الدنس فى الحياة الدنيا . ووحل من عرق أهل النار فى نار جهنم .

إن فقه العجل وثنى الأطروحة . يبدأ من الأرض ويعود إلى الأرض يقوم بتوثين كل ما تقع عليه حواسه . حتى يحجب نور الفطرة . ويتخبط الإنسان فى ليل مظلم لكنه مزخرف .

﴿ **زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا** ﴾ (٣) .

---

(١) الاعراف ١٥٣ .
(٢) آل عمران ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .
(٣) البقرة ٢١٢ .

سقوط رسالة فقه العجل عنوان الحضارة الغربية

﴿ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم . وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ﴾ (١) .

﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت . ويخرج الميت من الحى . ومن يدبر الأمر . فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون ﴾ (٢) .

إن أتباع فقه العجل لا ينظرون فى الكون نظرة تدبر . بعد أن قاموا بنفى الفطرة . وأمدهم الزيت الشيطانى بتصوراتهم للحياة . وفى عصرنا الحديث . ظهر العديد من اللافتات التى تحمل مذاهب أرضية شتى . فهذا مذهب شرقى يهتم بالرغيف وهذا مذهب غربى يهتم بالشهوة . وعلى رؤوس الجميع فلسفات مادية تقوم على أساس العقل والمحسوس . فمثلا داخل المربع الغربى . نجد الفكر السياسى الغربى (ليبرالية ــ ديمقراطية ــ رأسمالية) يطالب بالمزيد من أجل ربا أكثر . وأمام هذه الدعوة صار الإنسان عبيدا لأهوائه وشهواته . والفلسفة (البرجماتية) التى تقوم على أساس (المستوى ، والمكانة) بالدخل المادى وبنسبة النجاح الذى يصيبه المرء ، بغض النظر عن الوسائل التى حققه بها . هذه الفلسفة جعلت الإنسان يهرول من أجل المكسب أيضا .

وهذه الفلسفة هى المسؤلة عن رواج أدب اللذة والمجون فى الغرب . وسيطرته على الفكر كله . ولما كانت الفلسفة البرجماتية . هى نتاج الفكر التلمودى . طرحت اساسا لتشكيل الثقافة والذوق والمزاج النفسى للمجتمع الأمريكى على أساس يستقبل الطموح التلمودى ودعوته العريضة فى العودة إلى أرض الميعاد حتى يأتى مسيحهم المنتظر ، وعلى أرض الغرب ، زخرفت المادة أكثر وأكثر ، وخرج « فرويد » بنظريته . التى جاوزت حد التطرف . فاعتبر أن الجنس وحده مصدر لكل التصرفات والنوازع .

وهذه بعض من معالم الغرب . الذى انتج وسينتج العديد من الكتب التى

---

(١) الانعام ٤٦ .

(٢) يونس ٣١ .

تهاجم الإسلام . ويختبىء وراء لافتة يسوع . وهو يفرغ القيم من مضامينها . ليتحرك البشر بلا قيود أو ضوابط أو حدود يقف عندها السلوك . ويدفع بالعقل إلى متاهات تحت لافتة إن العقل هو مصدر المعرفة دون أى مصدر آخر . من وحى أو غيره . فالإنسان سيد مطلق للكون لا يخضع لأى مقررات . فى حياة مادية لا تقر وجود عالم الغيب ، لأن الفكر فكر حسى يقف عند حدود ما يرى ويسمع ، ولا يدخل فى حسابه الروح أو العاطفة أو البصيرة .

يقول تعالى :

﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ (١) .

كالأنعام !! قال فى الميزان : **﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾** .

إشارة إلى بطلان استعدادهم . للوقوع فى مجرى الرحمة الإلهية. والوقوف فى مهب النفحات الربانية فلا ينفعهم ما يشاهدونه من آيات الله . وما يسمعونه من مواعظ أهل الحق . وما تلقنه لهم فطرتهم من الحجة والبينة .. لقد أفسدوا وضيعوا عمل القلوب والعيون والآذان . وأنزلوها منزلة السمع والبصر والقلب التى فى الأنعام . واستعملوها فيما تستعملها فيه الأنعام . وهو التمتع من لذائذ البطن والفرج فهم أكثر وأشد ضلالا من الأنعام . وإليهم يعود الذم لأن للأنعام رسالة مفطورة عليها . ثابتة عندها .

﴿ وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (٢) .

﴿ وإن يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (٣) .

﴿ وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ (٤) .

ـــ إن سنة الله فى الكون أن الإنسان لا يصلحه الا وحى من السماء . منذ أن هبط آدم من الجنة .

---

(١) الاعراف ١٧٩ .
(٢) آل عمران ٦٩ .
(٣) الانعام ٢٦ .
(٤) الأنعام : ١٢٣ .

﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى . فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (١) .

من اتبع هدى الله . لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . أما من أعرض ، أى خالف أمر الله وما أنزله على رسله أو تناساه . وأخذ من غيره . فإن المعيشة الضنك ستصيبه لا محالة حتى ولو تمرغ فى النعم . فلا طمأنينة له . ولا انشراح لصدره . بل صدره حرج لضلاله . وإن تنعم ظاهره . ولبس ما شاء وسكن ما شاء . فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وحيرة وشك . فلا يزال فى ريبة يتردد . فهذا من ضنك المعيشة . هذا فى الدنيا . ويوم القيامة يحشره الله أعمى . لأنه أعرض عن آيات الله فى الدنيا وعاملها معاملة من لم يذكرها . أو يراها .

وبدأ السقوط

ــ يقول رجاء جارودى فيما نسميه نحن بمأزق برنامج الشيطان .

(.. من الجائز أن نميز فى تاريخ البشرية مراحل أساسية ثلاثا : [مرحلة] تتجاوز فيها قدرة الطبيعة قدرة الإنسان . وحيث . من ثم ينبغى على الإنسان أن يقاتل . وينافح لمجرد البقاء . [ومرحلة] تجاوز قدرة الإنسان قدرة الطبيعة . وأخيرا [مرحلة] نعيشها منذ منتصف القرن العشرين . وفيها تجاوز قدرة الإنسان طاقة الإنسان . ونحن فى المرحلة الأخيرة . التى لا تكاد تبدأ . مازلنا . لا نعرف . أن نحدد لأنفسنا غايات حقيقية . ولا أن نسيطر على وسائلنا . إن حضارة تقوم على هذه الموضوعات الثلاثة :

ــ تحليل الإنسان إلى العمل والاستهلاك .

ــ تحليل الفكر إلى ذكاء .

ــ تحليل اللانهائى إلى الكم .

---

(١) طه ١٢٣ .

أنها حضارة مؤهلة للانتحار ! انتحار (لفقدان الهدف) ! يشهد على ذلك ضروب الفرار إلى المخدرات وانتحار المراهقين بأعداد أكبر فى البلاد الغنية ! انتحار لافراط الوسائل ! وذلك نتيجة طبيعية . لتصور (لا يرى) فى الطبيعة (شيئا آخر) سوى أنها مستودع . ومعمل لمعالجة القمامة ....) (١) أهـ

أما كيف تحلل الفكر إلى ذكاء . يقول جارودى فى آخر مراحل هذا التحلل .

(أما موضوع رجحان جانب العقل . من الجائز أن نصيغها على النحو الآتى :

إن العقل قادر على حل جميع المشكلات . ولا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التى يستطيع العلم أن يحلها . وهذه هى السمة المميزة للمذهب العقلى الكبير . مذهب (سبينوزا) أو (هيجل) وهو يرى أن العقل يحل مشكلة الغايات ، أو المذهب العقلى الصغير ، مذهب وضعية (أوغست كونت) الذى يرى أن العقل يحل مشكلة الوسائل . وأن كل مشكلة أخرى . هى مشكلة لاهوتية أو ميتا فيزيائية . إذن مشكلة (زائفة) !؟!

وهذه الوضعية قد انجبت المذهبية العلمية والتكنوقراطية . وكلتاهما تؤلف (ديانة) وسائل . ديانة (حقيقية) .

إن العلمية والتكنوقراطية تطرحان دوما سؤال كيف ؟ ولا تطرحان البتة سؤال (لماذا) وفى مثل هذا التصور الوحيد البعد (ينحل الفكر) إلى ذكاء وحده ، ولا يجد فيه الحب ، (ولا الإيمان) ولا الشعر مجالا . بل نحن ننسى أن الجنون هو الملح الذى يحمى العقل من الفساد . ولذا . هنا أيضا . ثار طلابنا سنة ١٩٦٨ وهم يرفعون شعار « لنكن عقلاء . ولنطلب المحال » .... (٢)) أهـ .

لهذا بدأ سقوط حضارة الشيطان فى عصرنا الحديث . كما سقطت فى عصور سابقة ساد فيها أصحاب المغازل وجميع النساجين . أولئك الذين اهتموا بتدفئة الفطرة تحت الاغطية الثقيلة ، حتى ضاع منهم الهدف ، ولم يعد سؤال

---

(١) حوار الحضارات / جارودى ص ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ٤١ .

لماذا ؟ يجدى شيئا . بعد أن قام تلاميذ البرنامج الشيطانى بوضع كيف ؟ بدلا منها . حتى كيف ؟. ضاعت وسط الأعاصير التى أطاحت بزرعهم الأصفر بعد أن صار حطاما . يقول بيترفارب :

(ويزيد الطين بلة) . أن الانسانية قد اكتشفت . أن الهدف الذى تسعى إليه عن طريق التغييرات الحديثة ، هو ارتفاع مستوى المعيشة . حتى فى المجتمعات الحديثة . فى أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان . وبقى الإنسان الغربى يتخبط ويضطرب ، قلقا على مصيره . فى ظل المدنية المتقدمة التى يعيش فى ظلها . فظل المجتمع الغربى يتآكل فى الداخل . رغم التقدم العلمى والتكنولوجى . الذى حصل عليه والذى ظن أنه أساس حياة المجتمع . وهو الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة فى الحياة) .

لقد انتهى المطاف بالإنسان الغربى . بأن عاش بين جفاف الحياة المادية فى عالم هذا الإنسان كما يقول جارودى « ظهرت دعوات تسعى إلى إقناع الشباب بأن حياتهم وتاريخهم بلا معنى » .

لقد حملت الحضارة الغربية موتها فى أحشائها . لتحللها وتفسخها نتيجة للانهيار الخلقى والنفسى على امتداد طريق الشيطان . وكما أن موتها يكمن فى داخلها . فهى أيضا قابلة للموت من الخارج ، ضد الغزو الخارجى . لأنها لا تملك الرغبة أو الإرادة فى الدفاع . ولهذا فإن الساسة الغربيين والأمريكيين . يدركون نقطة الضعف هذه لدى الغرب . فنجد نيكسون الرئيس الأمريكى الأسبق ، يؤكد فى كتابه الحرب الحقيقية . أن العالم الحر . لا يقدر على مواصلة حرب تقليدية لفترة طويلة أمام أنظمة (ديكتاتورية) على حد قوله . وتؤكد دراسات أمريكية أخرى أن الولايات المتحدة الأمريكية فى حالة خوضها حربا تقليدية . فإنها سرعان ما تلجأ إلى الأسلحة الاستراتيجية لحسم تلك الحرب وإنهائها بسرعة (١) : وفى هذا يقول المفكر الإسلامى « محمد باقر الصدر » :

ماذا ينفع نمو الشكل المادى للقوة . مع الهزيمة النفسية من الداخل . وانهيار البناء الروحى للإنسان الذى يملك كل تلك القوى والأدوات ؟ وكم من مرة فى

(١) مجلة العالم ١٩٨٨/١٢/٢٤ .

التاريخ . انهار بناء حضارى شامخ بأول لمسة غازية . لأنه كان منهارا قبل ذلك . وفاقدا الثقة بوجوده . والقناعة بكيانه . والاطمئنان إلى واقعه .. إن الأمة التى أفرغت من محتواها ، التى تخلت عن وجودها كأمة . وبقيت كأفراد . كل إنسان يفكر فى طعامه . يفكر فى لباسه . فى داره . إذا أصبح كل إنسان يفكر فى حاجاته حين يفكر . يمكن أن تتداعى هذه الأمة أمام غزو من الخارج » .

لقد دخل المربع الاباحى فى مأزق ، فهذه الأزمة الكبيرة التى يعانى منها الغرب ، أى ما يسمونه هم : عجز القوة والخوف من القوى . التى يمكن أن تهدد مقومات الحضارة الغربية . سواء من قبل المد الشيوعى قديما . أو المد الإسلامى حاليا . أصبح محور تفكير الساسة ومراكز الأبحاث الغربية . والفناء المحتوم للغرب ليس فناء عسكريا فحسب . إنما هو فناء (الجوال) الحضارى بأكمله . لأن الذين من داخل هذا . الجوال أو الجراب . باطل طارىء لا أصالة فيه . يقول جارودى :

(.. نستطيع أن نستنتج من استغلال الغرب بقية العالم لمصلحته وحده . نستطيع ان نستنتج من سيطرته . أن الغرب حادث عارض ، أنه أخطر عارض طرأ فى تاريخ الكرة الأرضية ، والذى قد يقود اليوم إلى فنائها) .

وفناء الحضارات وسقوط الرايات يرى فى قوله تعالى :

﴿ إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ﴾ (١) .

قال فى الميزان : الحياة الدنيا عرض زائل وسراب باطل . لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكورة . اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر . وهى التى يتعلق بها هوى النفس الانسانية . ببعضها . أو بجميعها . وهى أمور وهمية وأعراض زائلة . لا تبقى للإنسان وليست ولا واحدة منها . تجلب للإنسان كمالًا

(١) الحديد ٢٠ .

نفسيا ولا خيرا حقيقيا . فالحياة الدنيا فى بهجتها ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحراث نباته . ثم يتحرك إلى غاية ما يمكنه من النمو . فتراه مصفر اللون . ثم يكون هشيما متكسرا تذروه الرياح !

إن المادة ليست هى الهدف ، لأن المادة تذروها الرياح ! والقدرة على العمارة ليست هى تبهيم الإنسان . إنما حقيقة العمارة أن يكون الإنسان إنسانا . أن عالم المادة بدأ اليوم يتقهقر . هناك . فى اليسار بدأ الجديد يلعن القديم . على طول الخط . ابتداء من ماركس ومرورا بماوتسى تونج وانتهاء ببريجنيف . ورفعت (البريسترويكا) أى إعادة البناء . أما أهل الغرب فلم يعد الترقيع يجدى . حتى أن جائزة نوبل المشبوهة . أصبحت تعطى لكل من استطاع أن يثبت أن الأفكار السائدة سابقا هى أفكار خاطئة . من أمثال الكسيس كارل . المفكر البريطانى . الذى حصل على نوبل لأنه من أكبر المنتقدين للأفكار السائدة فى الحضارة الغربية .

إن الشيطان الغربى والشرق فى عصرنا الحاضر يواجه مأزقاً لن تحله برامج حرب النجوم فى الهواء . بعد أن عمل على نزع السلاح على الأرض . إن الشيطان يعمل من أجل تجديد ثيابه . وهذا لن يحقق ما يتمنى لأن الجنين فى أحشائه بلا حياة . لأنه على أرض ميتة لامبراطورية ميتة .

ويقول صاحب «رسالة المسلم إنقاذ العالم» وهو يصف موت الحضارات :

دعنا نضرب مثلا بالأرض الميتة . أن الأرض الميتة ليست هى التى تعترف بالموت . بل نحن نحكم عليها بالموت . بسبب آثار موجودة عليها . يتمثل ذلك فى أن تأخذ ولا تعطى . وتستهلك دون أن تنتج . فالأرض الميتة . هى العاجزة عن إحداث التغيير فى الطبيعة وفى نفسها . ولا يجدى إذا ماتت الأرض . إذا وضعت لافتات تسترعى الانتباه . بأن هذه الأرض حية جدا . فى الوقت الذى هى تأخذ مياه الأمطار وأشعة الشمس وتستهلكهما دون أن تنتج ثمرا . ودون أن تحدث تغييرا فى ذاتها . أو فى الأجواء المحيطة بها . فهذا حال الأرض الميتة وكذلك أيضا حال الامبراطورية الروسية والأمريكية فى عصرنا هذا . فهما ميتتان . لاتنتجان ثمرا . أى أن مصدر الاشعاع والبقاء والحياة قد مات فيهما وهما الآن يعيشان على التراث فيهما ..

وهكذا فإن الانسان فى الشرق والغرب فقد رسالته . ولأنه فقدها . فإنه لا ينتج للبشرية بل يستهلك وهو إما يريد أن يمتلك أكثر من الإنسان والأرض . وأما أن يستهلك نفسه فى الإنفاق ، والإنسان فى ظل هذه الامبراطوريات . لا يحمل رسالة لأخيه الإنسان . ينطلق لتحقيقها على وجه هذه الأرض .

من فى الغرب يشعر بأنه يحمل رسالة ؟ وما هى رسالتهم إن وجدت ؟

أن أى روسى أو أمريكى لا يحس اليوم بأنه يحمل رسالة إلى العالم وكل ما يفعله كل منهما . هو الحفاظ على المواقع الموجودة داخل بلادهم أو فى مناطق نفوذهم . أنه حينما تكون هناك امبراطورية قائمة على عدم الإيمان بالمبدأ الاخلاق . وتنشغل بالاناقة . وتظلم العالم وتحتكر الثروات . فإن هذه الامبراطورية لن تستمر لأنها تحمل بداخلها عوامل فنائها . لأن الأخلاق حق وأساس متين للحضارات .

الخلاصـة

• إن الله تعالى أخذ الميثاق من جميع خلقة بأنه رب العباد . وشهد الخلق بهذا . وهذا الميثاق هو مخزون الفطرة . وانه سبحانه يرسل الأنبياء والرسل . بالهدى . فمن اتبع هدى الله نال السعادة فى الدنيا والآخرة . ومن عصى عاش فى ضنك الدنيا وعذاب الآخرة .

• أن خط التبليغ الإلهى . خط طاهر . لا يمكن للشيطان اختراقه . فخط سير الوحى من الله تعالى إلى جبريل ومن جبريل عليه السلام إلى النبى أو الرسول ومن الأنبياء والرسل إلى فطرة الإنسان . والرسول أو النبى مؤيد بالعصمة فى أخذ الوحى من ربه . وفى حفظه وفى تبليغه للناس فهو معصوم من الخطأ فى الجهات الثلاث . معصوم فى جميع مراحله إلى أن ينتهى إلى الناس . وليس كما قال البعض بأن للرسول جانباً لاهوتيا وجانبا ناسوتيا ، أو كما قال آخرون بتعبير آخر أن للرسول جانبا لا يخطىء فيه وهو الوحى . وجانباً يجرى عليه ما يجرى على الناس . فهذا القول هراء . لأن من يرتكب المعصية كيف يدعو إلى عدم ارتكابها . لهذا كان الرسول مصون أثناء تبليغ الرسالة فى فعله وفى قوله . لأن فى الفعل تبليغا كما فى القول .

• الشيطان لا يمكنه اختراق الرسول . لكنه يقعد على الصراط المستقيم . والصراط المستقيم يبدأ من استلام جبريل عليه السلام الوحى من ربه جل وعلا . هذه مرحلة ثم من جبريل إلى النبى . هذه مرحلة ثانية . ثم من النبى إلى الفطرة . حيث استقبال الإنسان للرسالة . فالشيطان يقعد فى المكان الذى فى أرض الإنسان . أى يقعد على الصراط المستقيم عند باب الفطرة فى منطقة الإرادة كى يقطع الاتصال . وهنا تظهر إرادة الإنسان . فهو هنا حر . مختار . إما أن يقهر الشيطان بأسلحة البصيرة والعقل والوجدان . وأما أن يركن إلى هواه وإغواء الشيطان وتزيينه المستمر . ومعنى أنه يهزم . أن الشيطان قد غيم على جزء من إشعاعات الفطرة . ومعنى أنه انتصر . أنه تمسك بأوامر ربه وسنة رسوله . ولم يفصل حسه عن الوجود . وتعامل مع الأحداث بمفهوم الحلال والحرام .

• والشيطان أخذ على نفسه العهد . منذ اليوم الأول . أن ينحرف بالناس إلى صراط آخر وصراط الشيطان يصب فى نار جهنم . وعلى صراط الشيطان يوجد علم فقه العجل . ومهمة هذا الفقه مهمة واحدة لا ثانى لها . التأليه . ففقه العجل قام بتأليه الإنسان وتأليه الهوى . وتأليه المادة . وفقه العجل يعمل أيضا على مربعات التوثين . فقام بتوثين القيم . والتأليه والتوثين هى مهمة الشيطان الأولى . فبالتأليه دوّن فقه الدجل والاستكبار . وصنعت القيود ، وبالتوثين دوّن فقه الخرافة وكممت العيون .

• وفى عصرنا الحديث امتد فقه العجل إلى أماكن كثيرة فلم يترك صنما ولا هوى الا وقام بتأليهه ودوّن له القراطيس وأنشأ له المدارس وعين له الفقهاء . وإذا كان الله تعالى قد ضرب الذل على كل من يحمل فى قلبه معالم هذا العجل . فهو سبحانه أجرى ذلك على كل من اتبع سنن أو طرق أصحاب فقه العجل . فمن ربط تصوراته بهم . ربط مصيره بهم . ولكن بما أنه تابع وليس اصلا . فهو فى مقام أدنى . وكلما اتسعت رقعة الاتباع كلما عاش أصحاب فقه العجل بما يسمى حقبة « ترف الذليل » وترف الذليل . بمعنى أن الإنسان الذى يشعر بإرهاق ما أو ملل ما . فإنه يذهب إلى مكان يرفه فيه عن نفسه . ليصطاد مثلا . وحقبة ترف الذليل . أن يجلس الذليل على رقاب نوعية ما من اذلائه . ليس من أجل أن يصطادهم . لأنهم صيده أصلا . إنما ليشعر بنشوة الذل . هو يتحرك على شرفهم

كأنه فى نزهة . هذا هو الترف فى باب النشوة من فقه العجل . ولكن يأبى عدل الله أن يستمر هذا الشذوذ . وأن يترك مصير الجنس البشرى لهذه الشرذمة . لأن هناك قانوناً يضرب من أجل الفناء . وللفناء حكمة .

***

مـأزق الغـرْبِ

١ ـ مأزق الضال .

- الاختلاف فى المسيح .
- التبشير بالقوة وبالرغيف .

٢ ـ مأزق فى دائرة الوجدان .

- انتشار الإسلام فى الغرب .
- حصار الإسلام فى بريطانيا .

مأزق الضال

قال تعالى :

﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ (١) .

قال المفسرون : الزبد الذى كان يطفو على السيل ويعلوه . أو يقذف بما يوقدون عليه فى النار . فيذهب جفاء . ويصير باطلا متلاشيا . وأما الخالص . أو العين الأرضية . التى فيها انتفاع للناس ويتمتعون بها فى معاشهم . فيمكث فى الأرض ينتفع به الناس .

لقد أيقن الاذكياء . أولئك الذين أشربوا حب العجل . أن مصيرهم إلى زوال . وكما أنهم ردوا كل شيء إلى الأرض . فهم أيضا سيدفنون فيها . ولكن بطريقة مهينة . وأحب هنا أن اسجل . أن موسى وعيسى عليهما السلام . فرع أصيل فى الإسلام الذى أنزله الله تعالى والإيمان بجميع أنبياء الله ورسله . عقيدة لكل إنسان مسلم . قال تعالى :

﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ (٢) .

أقول ذلك حتى لا يتمسح الغرب فى أنبياء بنى اسرائيل . ويظن أن النصر حليفه آخر الزمان لمجرد أنه يؤمن بواحد منهم عليهم السلام فالغرب حمل راية المسيح وسار على أهداف لا يعلم المسيح عنها شيئا . لقد جعل المسيحية مطية . فسار قديما نحو القدس بالأعلام الصليبية ويريد القدس للمسيح . وحديثا قام

---

(١) الرعد ١٧ .

(٢) البقرة ٢٨٥ .

بتسليم القدس لليهود ودافع عنهم برايات المسيح . فأين أهداف المسيح بين الأمس واليوم . ومسيح اليهود غير مسيح النصارى . وأهداف هذا غير أهداف ذاك . وهذه حقيقة أقر بها جميع علماء الحضارة وأقر بها المفكر برتراند رسل . قال :

« صحيح انه هناك بعض الاختلافات فى الرأى فى مسألة من هو المسيح . وما الذى سيقوم به . ففى نظر اليهود سيأتى المخلص فيما بعد . ويضمن لهم الغلبة فى الأرض . على حين أن المسيحيين رأوه فى يسوع الناصرى الذى لم تكن مملكته مع ذلك لا تنتمى إلى هذا العالم . فقد قال أن مملكتى ليست فى هذا العالم » (١) .

إن الغرب لا يمكن أن يجيب على هذا السؤال . من هو المسيح ؟ هل هو إله . أم نصف إله . هل يأتى بالأرض والطين لبنى اسرائيل فى حين أنه قال إن مملكته ليست على أرض أو طين . إن الحقيقة المرة . أن الغرب سار على طريق الفتنة وشرب منها حتى الثمالة كما يقولون . لقد سارت الطوابير الصليبية قديما وحديثا للصد عن سبيل الله . وضرب أهل الفطرة الذين استجابوا لله ولرسوله . كان الغرب يظن انه يقوم برسالة تقربه من المسيح . كان ومازال هذا ظنه ولكن خاب ذكاؤه ! لقد وقع الغرب وأعلامه فى الفتنة التى ستدفع به إلى جهنم .

﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ (٢) .

قال فى الميزان : فهم زين لهم المكر وصدوا به عن السبيل . والذى زين لهم وصدهم هو الشيطان بإغوائهم . فضلوا والذى أضلهم هو الله بإمساك نعمة الهدى عنهم ومن يضلل الله فماله من هاد .

إنهم لم يتقدموا نحو الله شبرا . لأنهم لو تقدموا لتقدمت رحمته ذراعا . إنهم لم يأتوا إلى رسوله النبى الأمى ليؤمنوا به لأنهم لو جاءوه بخطى بطيئة . لجاءتهم رحمة الله مهرولة . وقفوا . وصدوا . فأضلهم الله . وانطلقوا فى عالم الضلال يجرون وراء المغضوب عليهم . يسعون فى الأرض فسادا . وهم مع كل هذا . يحسبون

---

(١) حكمة الغرب / رسل ص ٢ .

(٢) الرعد ٣٣ .

أنهم يحسنون صنعا . لكنها الكارثة ﴿ **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾ (١) تماما كما حدث للجبار الأول الذى قال عنه تعالى ﴿ **وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب** ﴾ (٢) .

إن طابور الغرب يوجد بين السطور التى يقرؤها فى كتابه المقدس المتداول (*) أخبار نهايته . لأن الزبد يذهب ويدفنه السيل . والذى ينفع الناس يمكث فى الأرض . والنبوءة النائمة على صفحات الكتاب المقدس . احتار الغرب فى تفسيرها .

هل بعدها يأتى مسيح النصارى أم مسيح اليهود ؟ والعجيب . أن النبوءة تحدثت عن تدمير اليهود . وإن زوالهم حتمى لاشك فيه . وبعد هذا التدمير يأتى المسيح بن مريم . والأعجب . أن الغرب الذى يرفع راية المسيح ويعلم أن شرط مجيء المسيح هو تدمير اليهود . يساعد اليهود . هذه المساعدة التى يترتب عليها تأخير مجيء المسيح الذى ينتظره الغرب !!؟ ألم نقل بأن الأمور قد التبست ! ألم يخبر الله بأن من يضله الله فماله من هاد ؟ ألم يخبر سبحانه أنهم زين لهم كفرهم ومكرهم ؟

وفى عالم الزينة والضلال انطلق المبشر الهندى « د. عبد الحق !! » لتنصير المسلمين فى الهند . وتوغل مجلس الكنائس العالمى إلى داخل الاجسام . ليضع اكسيته على الفطرة . مقابل بعض الأرغفة وقليل من السمكات . يقدمها لجوعى افريقيا . وأعلنت لجنة التبشير العالمية فى لوزان بسويسرا أن لديها ٤٠٠ خطة موضوعة ومتكاملة لنشر تعاليم المسيحية فى العالم بحلول هذا القرن . (٣) ويبدو أن كتاب سلمان رشدى آيات شيطانية كان على رأس هذه الخطة !! وصرح قادة هذه المنظمة العالمية . بعقد اجتماع موسع فى سنغافورة نهاية عام ١٩٨٨ لتبادل الآراء والمشورة بشأن التحرك الجماعى للتبشير العالمى فى سنة ٢٠٠٠ وما بعدها (٤) ونشطت الارساليات التنصيرية الأمريكية فى تحويل نخبة من أبناء

---

(١) الأنعام ١٢٢

(٢) غافر ٣٧ .

(*) راجع كتاب المسيح الدجال قراءة سياسية / للمؤلف . ط الاعتصام .

(٣) مجلة العالم اللندنية ديسمبر ١٩٨٨ .

(٤) المصدر السابق .

المجتمع الإسلامى إلى أسلحة موجهة ضد المسلمين أنفسهم . وقد تمكنت هذه الإرساليات من إيجاد مناهضين للإسلام من بين المسلمين أنفسهم .

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم . ليصدوا عن سبيل الله . فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ (١) .

* بلى وربى :

﴿ قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم . قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين . قل إنى على بينة من ربى وكذبتم به ﴾ (٢) .

* ربى الله . وستغلبون !

— ﴿ ان الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله . أولئك هم الخاسرون ﴾(٣) .

— ﴿ وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا . أولئك فى ضلال بعيد ﴾ (٤) .

• إن التبشير الذى يقوم به الغرب . ليس من أجل ابن مريم عليه السلام . ولو كان من أجله . فمكان المبشرين الحقيقى هو مجتمع الغرب نفسه الذى فتك به مرض الإيدز . وانهار انسانه . إذا كان الإنسان هو هدفهم . فلماذا تركوا أبناء جلدتهم . وجاءوا إلى هنـا !. إن دفاعهم بالسلاح وبالكتاب هو بمثابة دفاع الذاهب الراحل .

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون ... ﴾ (٥) .

أم أن صدهم هذا اختبار من الله لصمودنا ! كى يعلم سبحانه الذين جاهدوا

---

(١) الأنفال ٣٦ .
(٢) الانعام ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) العنكبوت ٥٢ .
(٤) ابراهيم ٢ ، ٣ .
(٥) آل عمران ١٢ .

ويعلم الصابرين . ﴿ **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة . ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [1] .

لقد انطلق الغرب الصليبى . ومعه قيود الأرض . لتكبيل الفطرة . التى حررها الله من الأزل . وهو ممسك بالقيود . بل وهو على أعلى سلم الذكاء . وقع فقهه . وتهاوت آلهته التى عبدها من دون الله . تهاوت اليوم . فبينما هو وحضارته يحلق فى الهواء . ويبحث عن حرب النجوم . يغوص إنسانه إلى قدميه فى الأوحال والقاذورات . وبينما هو يركب المسيحية مطية له للوصول إلى أهداف جملها له الشيطان . يقرأ فى كتابه وفى سفر الرؤيا نهاية حضارته . لكنه لا يستسيغ تفسيرها . لأن الله كتب عليه الضلال . ومن يضلل الله فما له من هاد . وقانون الله واحد . وقانون الله يضرب من قديم .

﴿ **افنجعل المسلمين كالمجرمين** ﴾ [2] ﴿ **أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ [3] ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾ [4] .

فليفعل الغرب ما يشاء . ولينبش فى التراب عن أسماء إسلامية يحارب بها الإسلام . فإن ربنا أخبرنا بهذا فى كتابه . وأخبرنا بأنه سيتم نوره ولو كره الكافرون .

﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[5] .

قال فى الميزان : يريدون إطفاء النور . بإبطاله . وإذهاب شروقه . وإطفاء النور بالأفواه . إنما هو كلام ونفخ . وقد وقعت الآية فى سورة التوبة وفيها ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم** ﴾ والفرق بين الموضعين « يطفئوا » و « ليطفئوا » أن قوله ﴿ **يريدون أن يطفئوا** ﴾ يقصدون إطفاء نور الله . وفى قوله « ليطفئوا » يقصدون امراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله .

---

(١) آل عمران ١٤١ ، ١٤٢ .
(٢) القلم ٣٥ .
(٣) ص ٢٨ .
(٤) الأنبياء ١٨ .
(٥) الصف ٨ .

« ليطفئوا » أى يقصدون أمرا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله . أليس كتاب آيات شيطانية وما شابهه من تلك الكتب التى تحمل أسماء كتاب ، يحملون الأسماء الإسلامية . أليست هذه حلقات مساعدة لإطفاء النور . أوليس استعمال الغرب للعديد من المسلمين قفازا له لضرب الإسلام يدخل فى قوله تعالى ﴿ **ليطفئوا** ﴾ .

أن خائنا واحداً فى البيت أخطر من ألف خارجه . ولكن سينال الغرب وقفازه خزى فى الدنيا وعذاب أليم فى الآخرة . يوم يود الغرب وقفازه أن يكونوا مسلمين .

- مأزق فى دائرة الوجدان

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ (1) .

عقل الفطرة وبصيرتها له الغلبة فى الحياة الدنيا والآخرة . وهذه حقيقة لا تحتاج إلى بيان طويل . فالغرب الذى قام بتغذية دائرة ذكاء أفراده . ولم يغذ فيهم دائرة وجدانهم نظرا لعدم امتلاكهم لمنهج الوجدان . الذى حدده الله تعالى لعباده . والذى جاء به محمد ﷺ . هذا الغرب عندما دخل فى دائرة الضنك النفسى . وأصاب أفراده ما أصابهم . بأمراض عديده . نتيجة لثقافة فقه العجل التى ملأت جميع الطرقات . طرح القديم فى صورة الجديد . لأنه لم يعد لديه أى جديد . فملابس القرن التاسع تظهر فى طرقات القرن العشرين . وحذاء التكنولوجيا فى اقدام أفراده . يقودهم إلى غرفات النوم والتمتع والطعام بطرق جديدة لكنها تصل إلى نفس الأهداف القديمة . فى هذه الحياة التى يتقدم فيها الذكاء . صرخ الوجدان فى كيان الإنسان الغربى . صرخ ومع صرخاته اهتزت الفطرة تحت أحمال وأكسية فقه العجل . لم يبحث الإنسان الغربى عن مهدىء لصرخات الوجدان وانتفاض الفطرة . لأنه شعر بلذة لهذا الانتفاض . إنما بحث عن وقود وزاد يساعد على هذا الانتفاض . لم يجد هذا الزاد عند اليوجا أو عند أصحاب الفلسفات إنما وجده فى منهج الفطرة . عندما شاهد أتباع هذا المنهج يتحركون داخل مجتمعات الدنس بطهارة . ويتعاملون مع هذه المجتمعات كما

---

(1) آل عمران ١٣٩ .

علمهم ربهم . لم يجد فيهم جماعات من الهيبز تنام فى الطرقات ، وجد أمامه أصحاب رسالة . وهذه الرسالة موجهة إليه . لأنها رسالة إلى الإنسان . فى أى مكان كان هذا الإنسان . وبدأ الاقبال على الدين الحق . الذى تعهد الله بنصره ولو كره الكافرون .

وانتشر الإسلام بين الشباب فى أوروبا وأمريكا . ودخلته شخصيات محترمة لها وزنها وارتفع عدد المسلمين فى أوروبا الغربية حتى وصل إلى ١٥ مليون مسلم ووصل عددهم فى أمريكا إلى ٦ ملايين مسلم . وأكد تقرير أمريكى قدمه الديموغرافيون الأمريكيون .

أن عدد المسلمين فى العالم قد يتضاعف فى غضون الفترة الممتدة حتى عام (٢٠٢٠) !! (١) وجاء فى التقرير السنوى للمعهد الفرنسى للعلاقات الدولية الذى صدر فى باريس عام ١٩٨٨ والذى يتناول تطورات الأوضاع فى العالم الإسلامى والصحوة الإسلامية ومدى انعكاسها على العلاقات الدولية بشكل عام . « ان المد الإسلامى يزداد ضدهما ويتطور على حساب نفوذ الدولتين العظميين » وقال التقرير « إن التيار الإسلامى يبدو بمثابة التيار الايديولوجى القادر على منافسة اليسار فى العالم الثالث بحدة » وأوضح التقرير وجهة نظر أمريكا التى تقول « إن التيار الإسلامى يبدو كظاهرة عامة تهدد الوضع الثقافى فى الشرق الأوسط » (٢) .

ولم يقف الأمر على رصد الإسلام فى صفحات التقارير . بل بدأت صيحات التحذير تخرج من أفواه أصحاب المصالح . فعلى شاشة التليفزيون الأمريكى . قال القس الأمريكى سواجارت « ان الخطر الذى يهدد الحضارة الغربية الآن ليس هو الشيوعية والاتحاد السوفيتى . وأنما هو الإسلام . الذى يغزو بلاد الغرب بصورة مذهلة . ان لندن عاصمة فيكتوريا التى كانت تحكم العالم الإسلامى كله أصبحت تأوى انشط مركز إسلامى فى العالم . وإن عدد المراكز الإسلامية فى الولايات المتحدة أصبح يفوق عدد أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى . وعلى حين يتراجع الحزب الشيوعى يتزايد عدد المراكز الإسلامية . وتقوى جموع المسلمين » (٣) .

---

(١) مجلة العالم اللندنية ١٩٨٩/٢/٢٥ .
(٢) العالم اللندنية ١٩٨٨/١٢/٢٤ .
(٣) المختار الإسلامى شوال ١٤٠٨هـ .

نعم أن الخطر يكمن فى الإسلام . الإسلام الذى يطالب الإنسان بأن تنتظم حركته فى الحياة سلوكيا ، وبأن تنتظم دوافعه مع سلوكه فى ضوء منهج يعمل بلا تناقض ﴿ **كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ (١).

ورغم الصيحات والتحذيرات . انتفضت الفطرة فى أماكن عديدة . يقول اللورد هيدلى عن مخزون الفطرة فى المجتمع الغربى : إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا فى الغرب ، قالبا ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد الناشىء عن التغيير . تآمر مع منعهم من اظهار معتقداتهم » وفى المجلة الإسلامية التى أسسها اللورد يقول اللورد وهو يجيب عن سؤال : لماذا أسلم بعض الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين « لأنهم كانوا يلتمسون عقيدة سهلة معقولة عملية فى جوهرها . لأننا نقول معاشر الإنجليز دائما . بأننا أكثر أهل الأرض تشبسا بالعمل . عقيدة تكون ملائمة لأحوال الشعوب جميعا . وأعمالهم وعاداتهم . عقيدة دينية صحيحة . يقف المخلوق بها أمام الخالق دون وسيط » .

وهكذا وجد الغرب نفسه فى مأزق الوجدان . الذى لن يخرجه منه ذكاء العقل . فماذا يفعل ؟ إن ذاكرته تحتوى على نبوءة . وتقول النبوءة أن الهلاك قادم لا محالة من الشرق الإسلامى . ليدمر حضارته . قادم يحمل فى يديه منهاج الفطرة . وها هو ذا الغرب يرى أن الفطرة تحاصره على أرضه . رغم آلاف العجول التى تنتصب قاماتها فى ميادين الدنس التكنولوجى . وهذا الحصار حتما سيضعف من قوته . وسيكون هو المقدمة الحقيقية لهزيمته التى يقرؤها اليوم فى طيات كتابه المقدس . ماذا يفعل الغرب وهو يواجه الخطر الحقيقى القادم من الشرق الإسلامى . ذلك الخطر الذى حاصره بحلف الأطلنطى لأنه على يقين من أنه سيأتى من هناك (*) وفى هذا يقول الجنرال روجرز « إذا ما وقعت حرب عالمية جديدة . فإنها ستبتدىء بالمحور الممتد من الشرق الأوسط والخليج العربى والمحيط الهندى » (٢) وماذا سيفعل أمام الخطر الذى يعيش على أرضه ؟

---

(١) الصف ٣ .

(٢) مجلة العالم ٢٤/١٢/٨٨ .

(*) قال هـ . ايرنسايد فى تفسير سفر حزقيال . أن القوة المزمع خروجها آخر الزمان ستأتى من بلاد فارس وقبائل حول بحر قزوين وهذه القوة ستكون العدو الرئيسى للغرب ولليهود .

لقد بدأ الغرب فى الصد عن سبيل الله . بطريق الفعل . وليس عن طريق القول . ففى بريطانيا اعتمدت خطة لتنصير الطلبة المسلمين فى المدارس الحكومية . فذكرت صحيفة العالم تحت عنوان « خطة للتنصير فى بريطانيا » :

منذ بداية شهر أكتوبر ١٩٨٨ بات يتوجب على جميع المدارس الحكومية البريطانية القيام بعقد التجمع الصباحى مسيحيا فى المدارس . وكذا تعليم الدين المسيحى فى الفصول الدراسية طبقا للمواد ٦ (١) و ٧ (١) من قانون اصلاح التعليم الجديد لعام ١٩٨٨ . وقالت الصحيفة . وهذا يعنى انه يتحتم الآن مع أطفال المسلمين فى المدارس الحكومية . أن يواظبوا على الحضور فى التجمعات الصباحية المسيحية كما يحتم عليهم حضور حصص تعليم الدين المسيحى . وهذا الأمر يعد واحدا من مجموع التغييرات العامة . والواسعة النطاق التى تم . أو سوف يتم إدخالها فى التعليم ، بموجب القانون الجديد (١) .

والصد بالفعل هذا لم يقتصر على عاصمة فكتوريا . بل على امتداد الغرب الصليبى . ولكن بطرق كلها « ديمقراطية ! » ولأن عاصمة فكتوريا يجرى فيها الإسلام جريان الماء الهادى الرائق . ولأن عاصمة فيكتوريا يهدر فيها الإسلام هدير الرياح العاصفة . رياح لا تمزق الشراع . لكنها تسير السفن . بدأ الغرب يحذر . وظهر العديد من أمثال القس سواجارت . وكان لابد من عمل ! عمل يكون مجاله الوجدان . ليواجه غزو الإسلام لوجدان الإنسان الغربى . عمل لا مجال للعقل فيه . لا يحمل فكراً إنما يصنع غيوما داخل المنطقة الوجدانية . والعمل الذى يحمل فكرا مستترا . هو القصة أو المسرحية .

وفى مجتمع مثل المجتمع الأوروبى . لابد أن يكون هذا العمل نابتا من تربة المجتمع . بمعنى لابد من انسان ما يترجم النفسية الخلقية . والفكرية للمجتمع الغربى . ويصور قيمه ويعكس نفسيته وسلوكه ليس على اشخاص تاريخيين ينتمون إلى الغرب . وإنما على اشخاص آخرين . هم رموز الدائرة الوجدانية الإسلامية . أى يجعل الرداء الغربى القذر على رموز الفطرة الإسلامية . ليقول لأتباعه بعد ذلك . إلى أين أنتم ذاهبون ؟ إن الوجدان الذى تهرولون اليه .

---

١) مجلة العالم ٨٨/١٢/٢٤ .

رموزه ملطخة . وما يقال لكم هراء يقول لهم . إذا كنتم تنتقدون الكتاب المقدس . لأن فيه أخبارا تفيد بأن لوطا زنا بابنتيه . إذا كنتم تنتقدون عدم تنزيه الكتاب المقدس للأنبياء . فها هم رموز الإسلام الذى تتبعونه . إنهم لم يختلفوا كثيرا . والمسلمون فى دائرة الأسوأ . لأنهم أتباع الشياطين .

كان لابد من عمل يصد فى الوجدان . عمل هزلى . ينطبع فى ذاكرة الطفل . حتى إذا ذكر أمامه يوما رمز من رموز منطقة الوجدان الإسلامية . تذكر على الفور . ما ألقاه الشيطان ليصد النور عن الوجدان . فينطلق المضاد الحيوى المحمل بالجراثيم . ليسد جميع نوافذ النور . من أجل المحافظة على أسير فقه العجول .

***

ظهور الشائعات الشيطانية

١ ـ معاول الهدم الشيطانية أو سلمان رشدى القديم .

• ثقافة الشيطان .

• هجوم فولتير على رسول الله .

٢ ـ سلمان رشدى الجديد .

• صراع الحضارات .

• لمحة من حياة الرجل المارق .

٣ ـ الكتاب اهدافه واسلوبه .

• خطة الشيطان .

• الدعاية الرمادية .

٤ ـ هجوم الظلام .

• صدور الكتاب .

• الانتفاضة الإسلامية فى لندن .

• التعصب الديمقراطى .

٥ ـ الفتوى الإسلامية ونباح الغرب المسعور .

• فتوى الإمام الحسينى .

• التكالب الإعلامى .

• الفتوى وعلماء المسلمين .

معاول الهدم الشيطانية

أو (سلمان رشدى) القديم

على امتداد التاريخ أفرزت السحب الشيطانية التى حاولت حجب الفطرة الإنسانية العديد من علماء فقه العجل . الذين قاموا بتأليه كل شىء . وبالسخرية من رموز الفطرة . ابتداء من آل آدم ومرورا بآل نوح وانتهاء بآل إبراهيم . لم يسلم نبى من إهانتهم . تصورهم فقه العجل بأنهم زناة . ولا عمل لهم سوى السكر والعربدة . وليس الأنبياء فقط الذين وضعوا فى دوائر الاهانات . بل تصوروا رب العزة تصورا لا يليق بجلاله .

وهذا الطابور ما قال هذا أو تصور هذا الا بعد أن توغل على طريق الآباء الأوائل . الذين أفرزتهم السحب التى تحجب نور الفطرة ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون** ﴾ (١) . كانت البداية فطرة نقية . ثم قام الآباء بتوثينها . وعندما اظلمت سحب الشيطان . خرج الأبناء بلا عقل بعد أن عطلوا ملكة التفكير . التى اختص بها الله تعالى الإنسان عن الحيوان . ومن دائرة القمة شقوا طريقهم . بقلوبهم الغلف .

﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات . أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ (٢) .

---

(١) الزخرف ٢٢ .

(٢) البقرة ٢٥٧ .

أن الظلمة هى الجهل فى الاعتقاد والشبهة والريبة وطالح العمل . والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصى .

والذى يشق طريقه نحو المستقبل بعقل ذكى لا بصيرة له . حتما ستنتهى خطواته داخل دائرة الفقر . حتى ولو امتلك جميع أسهم البنك الدولى . سيتجرع الفقر الروحى والثقافى وفى كل يوم سيشعر بالفقر العلمى . وفى آخر المطاف . عندما ينهكه الفقر ويضنيه . سيجد نفسه تحت قيادة الدجال الذى حذر منه جميع رسل الله . والذى سيأتى قبل قيام الساعة . ومعه كل بريق الغنى . كى يسقط فى سلته كل أصحاب فقه الفقر لدائرة الظلام التى أسسها فقه العجول . والدجال هو الابن البكر للشيطان . أو كما تسميه المصادر الإسلامية هو « سر ابليس » وبريق الدجال وثقافته هى بعينها الفقر الحقيقى الذى قام بتأسيسه الشيطان .

﴿ الشيطان يعدكم الفقر . ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ (١) .

فمن دائرة الفقر هذه خرجت جميع الثقافات الشاذة . ورفعت لها الإعلام على امتداد التاريخ . وذهبت هذه الاعلام . لأن الفقر لم يمتلك الزاد الكافى لدفع مسيرتها من أجل الضلال . كانت تنتهى . لتخرج اعلام أخرى يبتلى الله بها عباده المؤمنين ليعلم الصابر منهم والمجاهد . ولتقيم الحجة على معسكرات الكفر بالفقر .

والهجوم على نبى الفطرة ابن ابراهيم محمد ﷺ . لم يبدأ اليوم . فقديما قالوا **﴿ معلم مجنون ﴾** (٢) ولا ندرى كيف يكون معلما ومجنونا فى نفس الوقت . لكنه فقه العجول . على أى حال . وقالوا . أيضا عنه **﴿ ساحرا أو مجنون ﴾** (٣) ولسنا ندرى : إذا كان قد سحر الناس . فلماذا استعصى عليه أن يسحر الذين قالوا بهذا . بمعنى إذا كان ساحرا فالواجب أن يسحر كل الناس . ولا داعى للحروب الدفاعية التى خاضها الإسلام فى بدء الأمر . ولكنه على أى حال تقدير عقول تتخبط فى ظلمات السحب . إذا دعاهم القرآن لمجرد أن يتدبروا آياته . أصدروا الحكم على آياته قبل أن يسمعوها . وقالوا هذا من أساطير الأولين .

---

(١) البقرة ٢٦٨ .
(٢) الدخان ١٤ .
(٣) الذاريات ٥٢ .

لم يعلموا أنهم أنفسهم ليسُوا إلا نباتا لأساطير الأولين . لكنها على أى حال بصيرة الدابة الملجمة التى تجيد إسقاطِ عيوبها على الآخرين . ظنا منها أنها ستغير الحقائق بمجرد إلقاء التعتيم عليها .

وفى عصرنا الحاضر . تم تشويه النبى بأساليب متعددة سقطت كلها أمام موائد البحث العلمى ليس فى ديار الإسلام إنما فى ديار الغرب نفسه . بمعنى الذى شوه هو الغرب والذى أسقط هم علماء الغرب المنصفون . عندما رجعوا إلى المصادر الحقيقية . وتبينوا الحقيقة التى تتحدث عن نفسها . ولم يبق من هذه الأساليب سوى الأسلوب الأدبى . فالقصة أو المسرحية . تعطى لأصحاب المطابخ هناك فسحة بعيدا عن البحث العلمى الجاد . وهذا الأسلوب نجح إلى حد ما فى تشويه الإسلام وإفساح الطريق لمذاهب ليس للإسلام فيها أى نصيب . ومن هذه المذاهب خرجت السحب الداكنة لحجب الفطرة الإسلامية . وفى ظلماتها رتعت الأسماء الإسلامية التى لم تأخذ من الإسلام إلا اسمه . وتم تدوين القصص المليئة بالهزل والسخرية نظرا لأن هذا النوع له مفعول أكيد فى موات القلوب وطمس روح الإيمان .

والقصة والمسرحية هى لعبة الغرب أمس . واليوم . وغدا . ولكى نصل إلى مؤلف آيات شيطانية وإلى حرية الفكر التى اتخذها الغرب مطية وهو يحمل راية الآيات الشيطانية . نذكر بمسرحية « محمد » التى كتبها « فولتير » يقول . توفيق الحكيم : قرأت لسنوات خلت . قصة فولتير التمثيلية (محمد) فخجلت أن يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر . فقد سب فيها النبى سبا قبيحا . عجبت له . وما أدركت له علة . لكن عجبى لم يطل . فقد رأيته يهديها إلى (البابا بنوا) الرابع عشر بهذه العبارات :

[فلتستغفر قداستك . لعبد خاضع من أشد الناس إعجابا بالفضيلة . إذا تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة . ما كتبه ضد مؤسس ديانه كاذبة بربرية . وإلى من غيَّر وكيل رب السلام . والحقيقة استطيع أن أتوجه بنقدى . قسوة نبى كاذب . وأغلاطه . فلتأذن لى قداستك . فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه . وأن أجرؤ على سؤالك (الحماية) والبركة . وإنى مع الإجلال العميق . أجثو . وأقبل قدميك القدسيتين (فولتير ١٧ أغسطس ١٧٤٥)] (١) .

(١) مجلة الهلال / عدد شعبان ١٣٩٨ / أغسطس ١٩٧١ .

ويقول توفيق الحكيم :

[ولقد قرأت بعد ذلك . رد البابا (بنوا) على فولتير . فألفيته ردا رقيقا . كيسا . لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين . وكله حديث فى الأدب . وعلمت فى ذلك الوقت أن روسو . كان يتناول بالنقد أعمال فولتير التمثيلية . فاطلعت على ما قاله فى قصة « محمد » علنى أجد ما يرد الحق إلى نصابه . فلم أر هذا المفكر الحر أيضا يدفع عن النبى ما ألصق به كذبا . وكأن الأمر لا يعنيه . وكأن ما قيل فى النبى لاغبار عليه ولا حرج فيه . ولم يتعرض إلا من حيث هى أدب وفن !! منذ ذلك اليوم . وأنا أحس كأنى فجعت فى شيء عزيز لدى هو الإيمان (بنزاهة) (الفكر الحر)] (١) .

ـ فحرية الفكر . لافتة . يرفعها حزب الشيطان . ويعمل تحتها . وهذه الحرية تنطلق من عالم السحب الداكنة . وتعبر عن تصوراته وتتجه إلى غاياته . هى حرية . لكنها حرية البهائم .

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ (٢) .

حرية يتنفس أصحابها هواء الدنس . ويتمتعون تمتع الحيوان . ويأكلون بأسنانهم وبطونهم . وعقولهم فى غيبوبة وبصيرتهم فى منفى . بعد أن انفصلوا عن شعاع الفطرة . الذى يدعو إلى التفكير والبحث .

﴿ أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه . أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ﴾ (٣) .

﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن . أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ (٤) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) محمد ١٢ .
(٣) الواقعة ٦٥ .
(٤) الواقعة ٧٠ .

حرية الفكر . التى يدافع الغرب عنها . هى حرية خاصة به . وبعالمه . ويجب أن تنتهى عند حدود الفكر للآخرين . ولأنه صنع أساسا من أجل تلويث أى ماء نظيف . فهو لم يقف عند أى حد . بل انطلق ببركة البابا فى القديم . وببركة أصحاب المخططات فى الحديث . موقف غريب له امتداد فمنذ قالوا قديما أساطير الأولين . والأساطير تمثل بالنسبة لهم خط دفاع أول . إما فى وصف الحق قديما أو فى محاولة طمسه حديثا بنسخ أساطير المحدثين .

ثم يقول توفيق الحكيم بعد أن فجع فى حرية الفكر على حد قوله :

[على أن الذى يدعو إلى الدهش أكثر من كل هذا . أن الشرق والإسلام . وقفا من الأمر موقف النائم . الذى لا يعى ولا يشعر بما حدث حوله . لقد كان الشرق الإسلامى فى ليل هادىء بهيم . لم تثر فيه حركة فولتير يومئذ ساكنا] [1] .

وكيف يتحرك من لا يعرف على أى أهداف يسير ، ومن أجل من يحترق ويعرق . أن القوم هناك يعرفون عن المسلمين أكثر مما يعرف هؤلاء عن أنفسهم . القوم هناك يحترمون كتابهم المحرف . ويعملون من أجل نبوءاته أما هنا فكأن النبى لم يخبر عند مستقبل كأنه ترك الدين هكذا هباء ليضيع فى خلاء . وإذا كان فولتير قد قبل الأقدام عام ١٧٤٥ فإن « بريدو » الإنجليزى قد قبل الأقدام عام ١٧٣٣ وقدم كتابه « حياة ذى البدع » وفيه أشبع الإسلام سبا . وقبل هذا وذاك . قام (أسكندر دوبن) بتقبيل الإقدام عام ١٢٥٨ وكتب عن نبى الإسلام كتابا يتضمن الكثير من الأضاليل . وفى العصر الحديث خرج من دائرة الشيطان العديد من الكتب . واندثرت هذه الكتب جميعا بعد أن شرحتها عقول أصحاب الفكر . وتبينت أنها ما كتبت الا من أجل قليل من الخبز أو من أجل بضع شهوات تسد رمق من أصابهم الفقر نتيجة لاتباعهم الشيطان ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** .. ﴾ [2] إنها لعبة الأساطير ومجالها الوجدان . قديما حاولوا حماية الوجدان من الحق بقولهم أساطير الأولين . وحديثا حاولوا تفريغ الوجدان من أى شبهة حق

---

(١) مجلة الهلال .

(٢) البقرة ٢٦٨ .

بنسخ الأساطير ــ أساطير المحدثين .

ودعاية أهل الكتاب أو دعاية أصحاب منطقة السحب الداكنة . تعد من أخطر أنواع الدعايات على الدين الإسلامى . وأخبثها لأنها دعاية صادرة من أصحاب عقيدة . لهم فى الخبث والدهاء سهم وافر . وإذا كان فولتير قد خرج هو وأمثاله قديما . للصد عن سبيل الله . وفقا لظروف عصره . فإن أصحاب المخططات يأخذون بالقول المأثور « لكل مقام مقال » فإذا كان لكل مجال حديث . فإنه أيضا لكل توقيت كاتب وحديث .

سلمان رشدى الجديد

فى البداية نقول إن الغرب هو المسئول الأول والأخير . عن كتاب آيات شيطانية . وإن بدا للبعض أنه بعيد عن الأحداث . فالغرب . وقف وقفة الرجل الواحد . وراء كتاب لا يخاطب العقل إنما يخاطب وجدان أفراده . وهذا الوجدان هو منطقة الضعف . التى يشكو منها الغرب . حيث كفر العديد من أفراده بجميع أصنام منطقة الوجدان . التى قام بزرعها الغرب على امتداد تاريخه . وكاتب الآيات الشيطانية . ليس ظاهرة فردية . أو كاتبا طموحاً يسعى إلى المال . إنما هو إنسان مبرمج ببرنامج محدد . يخدم مصالح أصنام منطقة العتمة التى تحجب نور الفطرة . وهذا الكاتب تم اختباره وفقا لقاعدة « لكل مقام مقال » لقد اختبر بدقة من حيث الدين الذى ينتمى إليه . ومن حيث جنسيته وإذا افترضنا . أن الغرب لم يكتب عناوين الكتاب . وأعطاها للكاتب لينسخ له قصة تستقيم مع الخطة فإن الحضارة الغربية هى المسئول الوحيد لخروج مثل هذا الكتاب . فالكتاب خرج من دائرة العتمة . وللحضارة الغربية عمود عتيق فى هذه العتمة .

فالكتاب وما تابعه من أحداث عالمية بعد ذلك . قام بتوضيح هذه الحقيقة التى تقول بأن الحضارة الغربية هى المنتج والطابخ الأول لهذا الكتاب لقد تفجر الصراع بين حضارتين متناقضتين تماما بين الحضارة الإسلامية وما تمثله من قيم ومثل وتقديس واحترام لأنبياء الله . وبين الحضارة الغربية وما تمثله من طرح مادى معاد للفكرة الدينية الفطرية الصافية ، وبعد الكتاب ظهر الوجه القبيح للغرب . وتفجر الصراع بين الحضارتين فى أكثر من ساحة وعلى أكثر من صعيد وبأكثر من وسيلة .

إن كتاب آيات شيطانية ما هو إلا حلقة فى صراع قديم . والمتوقع احتدامه خلال الأعوام القادمة . إن الشيطان وجميع دوائره . أحكم خطته من أجل حصار الإسلام . ودوائر الشيطان ، تدافع عن وجودها الذى زُين لها ، وتعلم أن وجودها هذا مهدد من وجهة واحدة فقط ، من الشرق حيث تخبرهم النبوءات . وحصار المناطق الإسلامية تم من قديم فبعد أن رحل المستعمرون بأجسامهم وبأسلحتهم . وتركوا وراء ظهورهم أوتاداً ومشاعل منطقة العتمة التى تعمل على توثين الفطرة ، أو تنثر شباك الشك والارتياب والاهتزاز فى نفوس أهل المنطقة ، حتى لا يخرج منها ما يهدد صفوفهم ، لقد ذهبوا بعيداً عن الخطر بعد أن صنعوا جدراً تحميهم من أى أخطار ، وعلى هذا نفهم حديث النبى ﷺ « **اللهم لا يدركنى زمان ، أو لا أدرك زمان قوم . لا يتبعون العلم ، ولا يستحيون من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب** » [1] .

أى لا أدرك زمان قوم لا يتبعون عَلَم الفطرة ولا يستحيون من علماء الفطرة قلوبهم قلوب من لم يؤمن بالإسلام ومع ذلك فهم يصلون صلاة المسلمين ، ويقرءون فى صلاتهم القرآن الذى نزل بلسان العرب .

إن فكر منطقة العتمة الذى شب على فقه العجول ، طرح ورقة ثقافية على أرض الإسلام من أجل تفريغ الإسلام ، وطرح ورقة على أرض الغرب تنفر الناس من الإسلام ، ولا يمكن فهم كتاب آيات شيطانية إلا ضمن هذا المخطط ، وليس ضمن الافتراض بأنه عمل شخصى لإنسان طموح .

فالمسلم المرتد الذى وضع اسمه فوق كتاب آيات شيطانية ، جاء من أجل تنفيذ مخطط يدافع عن حضارة مهددة بالسقوط بعد أن ضرب (الإيدز) مساحتها الفكرية والسلوكية ، والمتتبع لحياة هذا المؤلف يجد أنه ولد بالهند من أسرة تنتمى إلى الإسلام ، قامت بتربية ولدها تربية غربية ، وحيث أن والده كان ميسور الحال ، الحق ابنه بمدرسة راقية خاصة فى بريطانيا ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة كمبرج فيها ، ووصف مؤلف آيات شيطانية ، بأنه كان انجليزياً أكثر من الانجليز أنفسهم ، ورفع سيف قلمه على بنى وطنه فقام بتأليف قصة هاجم فيها

---

(١) رواه أحمد والحاكم فى المستدرك ١١ ٥/٤ .

الهند ، وقصة أخرى انتقد فيها باكستان ، وأثار فى الحالتين ضجة محدودة لم تلبث أن خمدت ، بعد أن اتهم وقتئذ بأن لديه مشاكل نفسية وثقافية ، ويبدو أن الغرب قد استغل ضجة القصص السابقة ، ولفت الأنظار للمؤلف ، ففتح له الطريق لضجة أخرى أكبر وأوسع وبدأ فى إجراء عمليات التلميع للمؤلف بإعطائه الجوائز وإقامة الندوات له ، فالروايات الثلاث الأولى حصلت على أربع عشرة جائزة أدبية منها واحدة من أمريكا ، وكان كل من يعرف المؤلف يؤكد بأنه سيكون أصغر كاتب يحصل على جائزة نوبل فى تاريخها ، وهذا المؤلف الذى يقف على الأرض الغربية ويستند إلى حضارتها ، لم يكن بعيداً عن بقية رموز دائرة العتمة فهو يقف فى ديار الغرب الرأسمالى فى مربع اليسار ، أى يدعى معارضة النظام الرأسمالى ، ولقد حاول الوفد الروسى ترشيحه من أجل أن يكون عضواً فى مجلس رئاسة اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا ، وذلك أثناء انعقاد المؤتمر الثامن للاتحاد الذى انعقد فى تونس عام ١٩٨٨ ، لكن رئيس الوفد الهندى اعترض على هذا الاقتراح قائلًا : « إن رشدى هذا ليس هندياً ، إنه حاصل على الجنسية البريطانية منذ ثلاثين عاماً ، فكيف يكون عضواً من كتاب آسيا وأفريقيا » وأمام هذا المنطق رفض الطلب ، وقال أحد الهنود : نحن نعتبره أحد وجوه الكومنولث ، إنه ليس منا ، ولكننا نتعامل معه باعتباره كاتباً متأورباً .

الكتاب : أهدافه وأسلوبه

أهداف الكتاب مخاطبة الوجدان وفقاً لخطة الشيطان « الجلوس على الصراط المستقيم » فالكتاب مطلوب منه تشويه رموز دائرة الفطرة أمام الأجيال المقبلة ومن المعروف أنك إذا قلت للطفل الصغير إياك أن تقترب من فلان ، لأنك لو اقتربت منه فإنه سيسرقك ، فإنه لن يقترب من هذا الإنسان أبداً ، وإذا حذرته من بيت ما قلت له إن فيه غولًا ، فإنه لن يقترب من هذا البيت ، وسيظل اسم الغول عالقاً بذهنه على الرغم من عدم وجود حيوان بهذا الاسم ، فالكتاب كأطروحة ، الهدف منه تطعيم الأجيال الغربيه ضد الإسلام .

ووفقاً للخطة الشيطانية فإن الدعاية الرمادية هى أنسب المهمة ، فهذه الدعاية تعتمد على الكذب الذكى أى تخلط الحقيقة بشىء من الكذب ، وهو أسلوب يهودى قديم ، قام على امتداد التاريخ بخلط الحقيقة بشىء من الكذب ،

وبتلفيق التهم ثم وضع هذا كله فى قالب الحدث ذى الأهمية ، وكتاب الحلف الإبليسى « آيات شيطانية » هو من هذا النوع شائعات تحاط برموز الإسلام . والشائعات التى وضعت حول رموز الإسلام فى هذا الكتاب ، ليست من ثقافة المجتمع الإسلامى ، إنما هى من نسيج الحضارة الغربية ، صنعت كثوب ثم وضعت على الرمز الإسلامى ، كى يسهل على القارىء فهم الحدث ، ومن المعلوم أن الشائعة التى تنطلق من مجتمع لابد أن تكون محملة بثقافة هذا المجتمع ، وتكون متأثرة بعاداته ، وقيمه ، وعقليته ونفسيته ، ولأن الكتاب قد خرج من مجتمع قذر ، فلابد أن تكون شائعاته كلها على نفس الدرجة من القذارة .

وعلى هذا فكتاب آيات شيطانية ليس إلا كتاب شائعات شيطانية ، خرج فى وقت عصيب على الذين أخرجوه لأنه من المعروف أيضاً أن الشائعة تبلغ أقصى احتدامها ، عندما يكون أهلها فى مأزق ، ويتوقعون حدوث حادث خطير فعندئذ تطلق القيادة الشائعة على الناس لتحقق ما يسمى « بجذب الهدف » وهدف القيادة المخططة هناك كان الإنسان الذى هرول من حظيرة الظلام إلى حظيرة الهدى ، بعد أن تعرضت عقيدتهم للنقد العلمى من جانب علمائهم وبعد أن أخفقت هذه العقيدة فى مسايرة الحياة نظراً لعدم عالميتها .

وشائعة « آيات شيطانية » ليس عملًا عشوائياً كما ذكرنا ، فالفطرة ما تغيرت إلا من خلال الأساطير والقصص والمسرحيات والبيركامى وجان بول سارتر وغيرهما ، قاموا بتأصيل الشذوذ عن طريق هذا الفن ، لأنهم يحركون أبطال قصصهم وفقاً لاعتقادهم الخاص ، وكتاب الشائعات هذا لم يترك رمزاً لمن رموز الإسلام إلا وهتك عرضه ، ولم يترك الكاتب للقارىء مجالًا للالتباس ، وإنما أشار إلى الجميع بأسمائهم الصريحة ، وإمعاناً فى ذم النبى ﷺ أشار إليه بكلمة (مهوند) ومعناها الشرير أو المزيف .

﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ (١) .

﴿ قل أبالله ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ (٢) .

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ (٣) .

---

(١) آل عمران : ١١٨ (٢) التوبة : ٦٥ (٣) الأنعام : ٢ .

هجوم الظلام

إن شائعات الشيطان ، دعوة مفتوحة للذين خدعوا بلافتات الغرب كي يعيدوا قراءة آيات كتابهم النورانية حيث يقول ربهم جل وعلا :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ [1] .

قال المفسرون : قوله **﴿ لا تتخذوا بطانة من دونكم ﴾** أى من غيركم من أهل الأديان **﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾** أى قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله مالا يخفى مثله على لبيب عاقل **﴿ قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾** .

عندما صدر الكتاب فى بريطانيا [2] حاولت اللجنة المتحركة للشئون الإسلامية هناك اللجوء إلى القضاء الانجليزى للاحتكام ضد الرواية فاتضح لهم أن القانون الإنجليزى يحمى فقط المذهب المسيحى الانجليكانى .

فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على أساس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة « هذا الكتاب يسىء إلى الإسلام » كالعبارات التى تكتب على السجاير وتحذر من التدخين ولكن الناشر رفض ، وأمام المعارضة الإسلامية ، قررت إحدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية وإخراجه فى طبعة شعبية عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الإسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى فتوجهوا إلى أسقف إحدى الكنائس بمدينة برادفورد ، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج إلى الأسقف وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب عدم نشره ، ولكن لا جدوى فقامت الجماهير الإسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ، ولكن المطابع فى استطاعتها أن تنتج المزيد .

---

(١) آل عمران : ١١٨ .

(٢) الطبعة الأولى صدرت فى ١٩٨٨/٩/١ .

• فقام سكرتير اتحاد المنظمات الإسلامية فى لندن بتوجيه خطاب إلى السيدة رئيسة مجلس الوزراء يدعوها فيه « من منطلق الحرص على المقدسات الدينية » إلى الامر من موقعها كمسئول رأسى « باتخاذ إجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها » (١) ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب إلى وزارة الداخلية البريطانية يطالبون فيه باتخاذ إجراء حاسم نحو الرواية (٢) وأخيراً جاء إعلان من القصر الملكى « إن الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه » ثم أعلن وزير الداخلية بياناً جاء فيه : « إن الحكومة لا تنوى أحداث تغيير فى قانون الطعن بالمقدسات الذى يتعلق فقط بالديانة المسيحية » .

لم يسأل أحد نفسه هل الديمقراطية التى سمحت بإهانة الإسلام ، يمكن أن تسمح لمواطنى إيرلندا بالتعبير عن حقهم فى الوسائل الإعلامية الانجليزية ، هل يمكن هذا وفقاً للافتة حرية الرأى ؟ وهل يمكن أن ينتقد إنسان ما الحركة الصهيونية فى وسائل الإعلام ذاتها ؟ لا ! .

• وأمام التعصب (الديمقراطى) انفجرت المشاعر الإسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها ، انفجرت أولًا فى بريطانيا فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد آيات الشيطان ، ثم انفجرت بعد ذلك فى الهند والباكستان .

وذهب ضحية لهذه المظاهرات العديد من الشهداء وعقب ذلك أعلن أن الناشر يزمع طبع الكتاب فى أمريكا وأنه سيقوم بتنظيم رحلة للمؤلف إلى أمريكا للترويج لروايته ، كما وجهت حكومة أفريقيا العنصرية الدعوة لمؤلف الرواية ، لكى يلقى محاضرة فى عاصمتها ، وأعلن العديد من الدول وعلى رأسهم إسرائيل بالشروع فى ترجمة الرواية إلى لغاتها ثم قامت مظاهرات فى باكستان أمام المركز الثقافى الأمريكى تطالب بوقف أمريكا هذا الكتاب وأعلن المتظاهرون أن الكتاب تقف وراءه المخابرات الأمريكية .

فى هذا الوقت كان الإعلام الغربى يتابع الموقف وينشر رؤيته للأحداث ، أما وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى فكانت وقتئذ تتغنى بالديمقراطية والحرية ، وكل دولة تدعى أنها أول من اكتشف الديمقراطية .

---

(١) سلمت الرسالة فى ١٩٨٨/١٠/٢٠ نقلًا عن مجلة العالم اللندنية ١٩٨٩/٣/٤ .
(٢) سلم الطلب فى ١٩٨٨/١٢/١٩ .

كانت وسائل الإعلام الأجنبية تعيش مع الحدث ، فعند أول طلب إسلامى تم تقديمه فى بريطانيا من أجل الكتاب قامت الأقلام الحاقدة مسيحية أو يهودية وغيرها للنيل من الإسلام ومن المسلمين وإظهار المسلمين بمظاهر لا يستسيغها الذوق المسيحى باعتبار أن الحرية معرضة للخطر بسبب مطالب الأغراب المسلمين الذين يطالبون بمصادرة الكتاب وعدم نشره ، كما نشطت وسائل الإعلام الغربية فى عرض قضية الكتاب وما يحيطها بشكل مسيء للمسلمين ، وبالتالى للإسلام ، حتى أن (الأوبزرفر) البريطانية قدمت الكتاب وردت عليه بطريقة (البابابنوا) على فولتير ، ردت بكياسة فتحت عنوان « الاختيار بين الظلام والنور » أشادت برسول الإسلام على أنه واحد من أعظم الرجال فى تاريخ العالم ، ثم قالت . إن الوحى كان ينزل عليه فى صور متعددة .. وإن المسيحية تختلف كثيراً عن الإسلام ، فالنبى محمد ليست له صفات إلهية ، ومن ثم فهو معرض لأى شيء يمكن أن يتعرض له البشر فيمكن للشيطان أن يظهر له فى صورة الملاك جبريل ، ويوحى له بالآيات ولا يمكن أن يلام !! فهو بشر !! واليوم حول المسلمون النبى ﷺ إلى شخصية مثالية لا يمكن أن تخطىء ويحظرون الحديث فى قضايا لم تكن محظورة من قبل ، ولا يدركون أن النبى محمداً كان إنساناً بكل ما فى الإنسان من نقاط ضعف وقوة (١) .

وهكذا كشف الإعلام الشيطانى عما فى داخل نفسه ، وكشف أيضاً عن أهداف خطته ليست الجريدة فقط ، إنما سلمان رشدى نفسه ، لقد أشع داخله بخطة الكتاب التى كان من المقرر لها أن تستمر حتى تصيب أهدافها فقد ردد ما قالته الصحيفة قال :

إن روايته تحاول الخروج على المحظور ، ولا تتقيد بالوقائع وإن الأدب لا يمكن أن يرتبط بدين معين (!) وأنها تحاول استكشاف ما بداخل النفس البشرية التى بها صفات عليا ، وصفات دنيا ، وأنه ما دام النبى غير مقدس ، وليس إلهاً ، فيمكن الحديث عنه بأى شكل ، وأن آيات شيطانية ليست ضد الدين بل هى محاولة جديدة لفهم الدين (٢) .

---

(١) جريدة النور ١٩٨٩/٢/٢٢ .
(٢) المصدر السابق .

من تصريح سلمان نتبين أن الموضوع كان محاولة لفهم الدين الإسلامى (!!) أى أنه لم يكن عملًا عشوائياً كما ظن السذج ، لقد أراد صاحب الشائعات أن يحاول الغرب فهم الإسلام كما قدمه المنشور الشيطانى .

لقد كان الغرب متوقعاً لردود الفعل فى العالم الإسلامى بأسره دون حسابات الموقف الإيرانى . كان الغرب يتوقع اتخاذ الدول الإسلامية قرارات بعدم دخول الكتاب إلى بلدانها ، وقرار مثل هذا لن يخل بالخطة العامة التى من أجلها صنع الكتاب .

وآيات شيطانية الذى كُتب خصيصاً للعقل الغربى سينعم بالتوزيع داخل المربع الغربى وهذا هو المطلوب .

ومع المظاهرات والاحتجاجات طالب رئيس إدارة منهاج القرآن فى باكستان بأن تقوم الحكومات الإسلامية بالضغط على أمريكا وبريطانيا لمنع الافتراءات على نبى الإسلام ، وطالب مدير الإفتاء فى إسلام أباد بأن الكتاب به إهانات للرسول لم يسبق لها مثيل ، وفى القاهرة كتب الشاعر فاروق جويدة قصيدة بعنوان « رسالة إلى سلمان رشدى » (*) ومما جاء فيها :

فى زمن الردة والبهتان .

أكتب ما شئت ولا تخجل .

فالكفر مباح .. يا سلمان .

ضع ألف صليب .. وصليب فوق القرآن .

وارجم آيات الله . ومزقها فى كل لسان .

لا تخش الله ولا تطلب صفح الرحمن .

فزمان الردة نعرفه .

زمن المعصية .. بلا غفران .

(*) أهرام ١٩٨٩/٣/٢

إن ضل القلب فلا تعجب .

ان يسكن فيه الشيطان .

فاكتب ما شئت .. ولا تخجل .. فالكل مهان .

وكفر ما شئت .. ولا تسأل فالكل جبان .

أسألك بربك يا سلمان ..

هل تجرؤ أن تكسر يوماً أحد الصلبان ؟ .

أن تسخر يوماً من عيسى .

أو تلقى مريم فى النيران .

ما بين صليب ..وصليب .

أحرقت جميع الأديان ..

فاكتب ما شئت يا سلمان ..

فالكل مهان .. وجبان ..

وفى بريطانيا نسبت صحيفة (ذى نيوزاوف ذى وورلد) إلى بريطانيين . مطالبتهم للمسلمين فى بريطانيا ، بمغادرة البلاد . إذ لم تعجبهم القوانين البريطانية ، والعودة من حيث أتوا ، لأن أحداً لم يطلب منهم المجيء . وعلقت جريدة الشرق الأوسط على ذلك بقولها إن الصحيفة تعكس بنشر مثل تلك الآراء ، ما أحدثه الكتاب من شروخ داخل المجتمع البريطانى الذى يشكل المسلمون داخله ثانى أكبر جالية بعد المسيحية (١) وفى هذه الأثناء خرجت الفتوى التى لم يحسب الغرب حسابها .

الفتوى الإسلامية ونباح الغرب المسعور

فى يوم ١٩٨٩/٢/١٤ ألقى الإمام آية الله روح الله الخمينى زعيم الثورة الإسلامية فى إيران فتواه وجاء فيها :

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٨٩/٢/٢٠م .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ـــ أشهد أن لا إله إلا الله ـــ وأن محمداً رسول الله ـــ ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء . ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع . ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (١) صدق الله العظيم .. إننى أبلغ جميع المسلمين فى العالم بأن مؤلف الكتاب المعنون « الآيات الشيطانية » الذى ألف وطبع ونشر ضد الإسلام والنبى ﷺ والقرآن . وكذلك ناشرو الكتاب (الواعين بمحتوياته) قد حكم عليهم بالموت وعلى جميع المسلمين تنفيذ ذلك فوراً أينما وجدوهم كى (لا يجرأ) أحد (بعد ذلك) على إهانة الإسلام . ومن يقتل فى هذا الطريق فهو شهيد إن شاء الله » (٢) .

كانت هذه الفتوى بمثابة القنبلة التى فجرت طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب وكشفت المزيد من الباطن المكنون فى السياسة الغربية تجاه الإسلام وبلاد المسلمين وحددت بعض الدوائر الإيرانية مكافأة عمن يقوم بهذه العملية ، ثم أعلنت فيما بعد أن حزب الله الموالى لإيران هو الذى سيقوم بتنفيذ هذه المهمة ، وفى بيروت نظم أكثر من ٥ آلاف من مؤيدى حزب الله مظاهرة نددوا فيها بالكاتب والكتاب وأعلنوا رغبتهم واستعدادهم لتنفيذ قرار الإمام بإهدار دم رشدى (٣) .

أعلن العديد من الشخصيات الإسلامية أن الكتاب يعتبر مؤامرة على الإسلام ، وأنه يخفى تحت طياته حرباً صليبية جديدة ففى طهران أعلن رئيس البرلمان الإيرانى هاشمى رفسنجانى أن الكتاب مؤامرة حيكت من وراء ستار (٤) . وصرح آية الله منتظرى أن الكتاب جزء من مؤامرة ضد الإسلام ، وفى القاهرة قال الشيخ محمد الغزالى . إن هناك مؤامرة لا تخفى القوى المشاركة فيها كى ينشر الكتاب فى أوسع دائرة ممكنة تحت عنوان الدفاع عن حرية الرأى (٥) .

---

(١) البقرة : ١٥١ .
(٢) مجلة العالم .
(٣) أهرام ١٩٧٩/٢/٢٧ .
(٤) جريدة الاتحاد الخليجية ١٩٨٩/٢/١٦ .
(٥) جريدة الوفد ١٩٨٩/٢/٢٤ .

وداخل الأمم المتحدة ذكرت البعثة الإيرانية هناك أن هذه المؤامرة أحبطت بالرد الحازم من المسلمين فى أنحاء العالم (١) وفى إيران طالبت الصحف ورجال الدين الإسلامى بإرسال وفد من علماء الإسلام إلى أوربا ودول الغرب عموماً لشرح موقف الإسلام من هذه الرواية وإظهار حقيقة هذه الحملة التى أرادت فى بعض بنودها أن تهين المسلمين وتصفهم بأنهم يعارضون الحرية وحرية التعبير وهو ما يقدسه الغرب . وهذا الاتهام هراء محض ، ولكن الدوائر المعنية فى الغرب لم ترحب بهذا الطلب (٢) .

وطالبت إيران بأن موضوع الكتاب يستدعى عقد اجتماع طارىء وعاجل لمنظمة الدول الإسلامية على مستوى وزراء الخارجية لبحث الموضوع إلا أن رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامى وهى الكويت وقتئذ استبعدت فكرة عقد هذا الاجتماع ، وقالت إن من المبالغة القول بأن المسألة تحتاج لمثل هذا الاجتماع (٣) .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه منظمة المؤتمر الإسلامى أن المسألة لا تحتاج لمثل هذا الاجتماع . كانت مجموعة السوق الأوربية المشتركة قد اجتمعت اجتماعاً (غير عادى) للوزراء الأعضاء فى السوق المشتركة (١٢ دولة) ولم يحدث أن اتخذت أوربا الغربية موقفا حاسماً كما فعلت من أجل هذا الموقف حتى إن وزير خارجية أسبانيا قال تعليقاً على الموقف الأوربى إنها أول مرة فى التاريخ فى حدود علمى التى تعرب فيها المجموعة الأوربية عن غضبها على هذا النحو (٤) . اجتمعت هذه الدول وقررت سحب سفرائها من إيران وفرض عقوبات عليها . وكانت إيران قبل قضية الكتاب هذا بصدد تحسين علاقاتها مع الغرب التى تدهورت منذ حادث احتجاز موظفى السفارة الأمريكية فى طهران ، وعقب قطع العلاقات بارك الرئيس الأمريكى بوش هذه الخطوات وأعلن مساندته لأوربا فى مسألة مساندتها للكاتب سلمان رشدى (٥) .

---

(١) الوفد ١٩٨٩/٢/٢٦ .
(٢) الاتحاد ١٩٨٩/٣/٥ .
(٣) أهرام ١٩٨٩/٢/١٧ (ملحوظة : المؤتمر عقد بعد ذلك ولم يدرج الكتاب فى جدول الأعمال لاختلاف المواقف) .
(٤) الوفد ١٩٨٩/٢/٢٣ .
(٥) أهرام ١٩٨٩/٢/٢٢ .

وعقب ذلك أعلن الإمام الخميني . أن إيران ليست فى حاجة إلى أحد وأنها ليست فى حاجة لإقامة علاقات وطيدة مع الغرب (١) .

وفى كندا رفض سفراء ٢٥ دولة إسلامية فى أوتاوا طلباً كندياً بإدانة إيران كما رفضت الحكومة الكندية فى نفس الوقت طلباً من السفراء بمنع تداول أو إدخال الكتاب إلى كندا (٢) وفى واشنطن تعهد المدعى العام الأمريكى أمام عدد من ناشرى الكتب باستخدام كل الوسائل الممكنة لوقف الجهود الرامية إلى إحباط نشر الكتاب فى أمريكا (٣) .

وذلك بعد أن اندلعت مظاهرات فى أمريكا تطالب بعدم نشر الكتاب داخل الولايات المتحدة . وأعلن الرئيس الأمريكى بوش أن تهديدات الخمينى تتنافى مع السلوك المتحضر وهدد إيران باتخاذ إجراءات انتقامية ضدها إذا ما تعرضت المصالح الأمريكية لأى أعمال إرهابية من جانبها . وعلقت (الأيكونومست) فى ٦٩/٢/١٨ على الفتوى قائلة : إن تطرف آية الله الخمينى قد أحرج وأزعج المسلمين . وحتى لو لم يفعل ذلك فإن على الغرب الوقوف ضده دفاعاً عن القيم !! وعلقت (التايمز البريطانية) قائلة : لابد أن يفصل المسلمون أنفسهم عن هذا الرجل المتعصب فى إيران . وصرح ولتر مونديل نائب الرئيس الأمريكى الأسبق : أن آية الله الخمينى يهدد حرية الأمريكيين فى أن يقرءوا . ويفكروا كيفما شاءوا . وهم لن يسمحوا له بأن يدير بلادهم . ويهدد حضارة عالمهم (٤) كما وصفت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الفتوى بأنها تهجم على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للإنسان (٥) وفى ألمانيا الغربية قال وزير خارجيتها : إننا نواجه نقطة تحول فى العلاقات الدولية .

وفى ألمانيا حمل المتظاهرون لافتات كتب عليها « هل حرية رشدى فى التعبير أهم من كرامة المسلمين » (٦) .

ـــ وعلى طريق الحروب الصليبية نشرت (الجارديان) ٨٩/٢/١٧ : لابد أن نكون واعين وحذرين أن نحول قضية رشدى إلى معارضة بسيطة بين نورنا

---

(١) أهرام ١٩٨٩/٢/٢٤ .

(٢) الاتحاد ١٩٨٩/٣/٣ .

(٣) الاتحاد ١٩٨٩/٣/٣ .

(٤) آخر ساعة ١٩٨٩/٣/١ .

(٥) الوفد ١٩٨٩/٢/٢٣ .

(٦) الاتحاد الخليجية ١٩٨٩/٣/٥ .

(الغرب) وظلامهم (المسلمين) ، وأصدر البرلمان الألمانى بياناً جاء فيه : إن إعلان الإمام الخمينى عن قتل سلمان رشدى هو بمثابة إعلان الحرب على القيم الغربية (١) . وأعلنت رابطة بائعى الكتب الأمريكية ورابطة الناشرين الأمريكيين : أنهما تعتزمان نشر سلسلة إعلانات فى صحيفة نيويورك تايمز . هذا نصها : اليوم هو موعد نشر كتاب سلمان رشدى « آيات شيطانية » أيها الناس الأحرار اكتبوا . الناس أحرار ينشرون الكتب والناس أحرار يقرءون الكتب (٢) !!.

ـ وقال اللورد بلجيت عضو مجلس العموم البريطانى « نحن فى نهاية الأمر قوة نووية . ألا يوجد ما نفعله بهذه القوة ؟ إذا استمر آية الله خومينى فى الإعلان عن عدم خوفه (٣) والشيء العجيب أن السياسة الغربية تعلم علم اليقين أن قنابلها الذرية لن تفعل شيئاً للقوة التى ستأتيها آخر الزمان . تلك القوة التى يعرفون أنها ستقضى على إسرائيل لا محالة . هم حتى الآن يفكرون بمنطق العقل الذكى . لم يعلموا بعد أن الله تعالى يقيد الأسباب ، وأن هناك أسباباً دولية وأسباباً اقتصادية تقيد انطلاق هذه القنبلة . إن لله أسباباً ولله حكما !! .

خرجت المظاهرات الإسلامية فى فرنسا وانجلترا وأمريكا وكندا وألمانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وبانكوك وفى هونج كونج أعلنت تسع جماعات إسلامية رفضها للكتاب فى إعلان مدفوع الأجر . خرج أطفال المسلمين يرفضون هذا الإملاء القذر . الذى صنعته الأيدى القذرة . وأمام هذا الطوفان الإسلامى الهادر . هرب مؤلف آيات شيطانية .. وألغى رحلته التى كانت مقررة إلى أمريكا للترويج لكتابه الذى لم يفت الغرب أن يعطيه عليه أعلا جائزة أدبية . ووقع ٣٤ عضواً من مجلس العموم البريطانى على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدى (٤) ، وعرضت المخابرات الإسرائيلية (الموساد) توفير الحماية والأمن للكاتب (٥) وعرض نائب إسرائيلى مأوى لمؤلف آيات شيطانية بمنزله

---

(١) الشرق الأوسط ٨٩/٢/٢٢ .
(٢) الوفد ٨٩/٢/٢٣ .
(٣) آخر ساعة ٨٩/٣/١ .
(٤) آخر ساعة ٨٩/٣/١ .
(٥) أهرام ٨٩/٢/٢٧ .

الذى يشمل ٢٧٣ غرفة فى أحد أحياء تل أبيب (١) ولم يقتصر الأمر على هذا الحد . بل وصل الأمر أن طلبت إدارة الرئيس الأمريكى بوش من الحكومة البريطانية توفير الأمن والحماية لمؤلف آيات شيطانية . والالتزام بضبط النفس حتى التوصل إلى حل لأزمة الرهائن المحتجزين من قبل جماعات موالية لإيران فى بيروت (٢) .

وبعد هياج الغرب هناك خرجت الأقلام من هنا وهناك تهاجم الفتوى الإيرانية ، وتركوا وراء ظهورهم الكتاب والكاتب وصيحات المسلمين فى بلاد الغرب ، تبارت الأقلام تتباكى على الإسلام وسماحته وتدافع عن حرية الفكر الذى يحاول الظلام أن يلتهمها . وفى هذا المجال نشرت الأهرام مقالًا لواحد من أتباع حرية الفكر يقول فيه :

« أما المسلمون . فهم الذين يقول الله فيهم ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ وأنا مهتدياً بهذه الآية الكريمة لا أملك إلا أن أقول لسلمان رشدى وهو الآن فى مخبئه يتوقع الموت فى يقظته ومنامه . لا يدرى من يكون قاتله هل هو ساعى البريد أم بائع اللبن أم سائق التاكسى . وهل هو قريبه القادم من الهند أم من جلاده القادم من إيران . أقول له سلاما !! » (٣) .

ولست أدرى أى حرية هذه التى تنال من سيد دائرة النور محمد ﷺ أى حرية هذه التى ينطلق أصحابها من دائرة الظلام فى هجوم كاسح ضد دائرة النور ، إن المؤلف أعلن بكل صراحة إن كتابه محاولة جديدة لفهم الدين . وصحف الغرب قامت بطرح الرواية على العالم فى محاولة منها لتيسير هذا الفهم . ومؤسسات العالم الغربى وعلى رأسهم جميعاً السوق الأوربية والقنابل الذرية وقفت وراء محاولة الفهم هذه فأى حرية هذه ؟ وأى رأى هذا ؟ علينا ألا نخلط بين حرية الفكر وحرية الأغفال وحرية النفاق . وحرية التآمر إن لكل حرية من هذه الحريات . فقها خاصاً بها وأهدافاً خاصة بها . فأى حرية ؟ العالم حر — نعم —

---

(١) آخر ساعة ٨٩/٣/١ .
(٢) الاتحاد ٨٩/٢/٢٨ .
(٣) أهرام ٨٩/٣/١ .

ولكن لا شأن للإسلام بمفهوم الحرية عند الغرب . الغرب يقول لنا : هيا نجتمع معاً تحت شعار الحرية . وهم يقصدون من الحرية فى الدرجة الأولى التحرر من الدين . وأما نحن فنقصد من الحرية التحرر من جميع أنواع الضغوط ومن جميع أشكال فقه العجل . فالحرية التى يريدونها تتفاوت عن الحرية التى نطلبها . وهم يدافعون عن حرية الرأى والفكر فى هذا الإطار الذى يريدونه — ولن يسمحوا بتداول الحرية التى نطلبها لأن فيها تصفية حضارتهم . لأن نظامنا غير نظامهم . والنظام الاقتصادى والفكرى والعقائدى وتصورنا عن الحياة . يختلف عن اقتصادهم وأسلوب تفكيرهم وعقيدتهم وتصورهم عن الحياة . إن الإسلام يرحب بالحرية الإنسانية — ولا علاقة له بالحرية الحيوانية التى أنتجت آيات شيطانية . وهذه الحرية وهذه القيم ليست فى حاجة لكى يهاجمها الإسلام ويهددها . لأنها تهدم نفسها بنفسها بشهادة علماء الغرب أنفسهم . فهل يجوز لحضارة تحتضر . أن تشوه حضارة تنتهض . فإذا كان هذا يجوز فأى حرية هذه التى تعطى هذا الحق .

إن حرية الفكر يحترمها الإسلام . لأن المسلم إذ لم يكن مقتنعاً بقوة الفكر الإسلامى . فكيف يعشق الإسلام الذى يترتب على اعتناقه الموت فى سبيل الله . والتضحية بالمال ومشقة الطاعة كما أن علماء الإسلام قادرون على مواجهة كل فكر يعادى الإسلام . وعلى تحديه . وعلى قهره بالحجة والمنطق . وعلى هذا فأسطورة أن الإسلام يواجه الفكر بالسيف أسطورة ساقطة لأن سيف الإسلام على امتداد التاريخ لا يرفع إلا بإذن الله تعالى . ولا يغمد إلا بإذنه سبحانه .

الفتوى وعلماء المسلمين

روى أبو داود فى حديث رقم ٤٣٤٠ .

« إن يهودية كانت تشتم النبى ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل . حتى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ دمها » .

وقال صاحب عون المعبود شرح أبو داود : فيه دليل على أنه يقتل من شتم النبى ﷺ (١) .

---

(١) عون المعبود ١٢/١٧ .

إن علماء الإسلام فى أنحاء العالم الإسلامى لم يعارضوا قتل سلمان رشدى باعتبار أنه مرتد . إنما كانت وقفتهم فقط فى كيفية تنفيذ حكم الله — يقول الأستاذ خالد محمد خالد :

إذا كان مقصوداً بروايته إهانة الإسلام وألف مليون مسلم . فهذا لا علاقة له البتة بحرية الفكر . ولعل الفتوى الإيرانية التى جهر بها الخمينى تتماشى والحديث الشريف القائل : « **من بدل دينه فاقتلوه** » وهو ما يصدق على كل ما يفضى إلى إهانة الدين والتحريض عليه .. وإن الدولة الإسلامية التابع لها المؤلف هى التى تقيم الحد وليس أى فرد أو جماعة (١) .

وقال الشيخ المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر :

إن سلمان رشدى يستحق الإعدام بسبِّ رسول الله ﷺ . غير أنه يجب التحقيق معه وتمكينه من الدفاع عن نفسه ثم إن له حق الرجوع والتوبة وهنا يسقط عنه الحد (٢) .

وقرر المجمع الفقهى الإسلامى الذى عقد اجتماعاته فى مكة المكرمة ما يلى :

١ — اعتبار سلمان رشدى بما أتاه من مفتريات وقذف شخصى للرسول ﷺ وزوجاته . والنبى إبراهيم الخليل مرتداً عن الإسلام الذى نشأ فى ظله وأنه يستحق أن يطبق عليه حكم المرتد المتذندق المفترى على الله ورسوله :

٢ — طالب المجمع بملاحقة سلمان رشدى بدعوى قضائية جزائية تقام عليه وعلى دار النشر « بنجوين » التى نشرت له هذه الرواية فى المحاكم المختصة فى بريطانيا . وأن تتولى منظمة المؤتمر الإسلامى رفع هذه الدعوى .

٣ — تقام على الكاتب دعوى جزائية فى بلد إسلامى من قبل النيابة العامة فى هذا البلد وأن يتم محاكمته غيابياً ويحكم عليه بما توجبه الشريعة الإسلامية فى أمثاله حتى ولو لم يكن لهذا الحكم مجال تنفيذ فورى .

---

(١) المصور ١٩٨٩/٣/٣ .
(٢) الوفد ١٩٨٩/٢/٢٤ .

٤ ــ اعتبار الاعتذار الذى قدمه هذا الكاتب ونشرته الصحف البريطانية وقال فيه : « إنه يأسف لأنه أساء إلى مشاعر المسلمين » اعتذاراً فارغا لا يغير من افتراءاته الإجرامية ولا يغسل شيئاً من جريمته الشنعاء ، لأن الاعتذار فى هذه الحالة يجب أن يتضمن الإقرار والاعتراف بأن ما ذكره فى كتابه إنما هو محض كذب وافتراء وأنه غير صحيح وأن ينشر ذلك فى وسائل الإعلام .

ملحوظة :(إيران كانت قد رفضت هذا الاعتذار الذى أصدره المؤلف من مخبئه . وقالت إن الاعتذار غير كاف ولم يتضمن توبة المؤلف . وإن هناك من القم المؤلف هذا الاعتذار . وأن المؤلف مقتول حتى ولو تاب) .

٥ ــ مقاطعة دور النشر التى نشرت كتاب سلمان رشدى (١) .

* * *

من هذا أن حكم المرتد لا خلاف عليه . إنما الخلاف على كيفية المعالجة . فالكاتب أعلن ارتداده بصراحة فى كتابه . ولم يتبرأ من هذا الكتاب إنما نشر الإعلام له العديد من الصور وهو يمسك كتابه بيده وعلى وجهه علامات الإعجاب . وهذا الكاتب مرتد دولى . رفض أسلوب المناظرة عندما طلب منه بعض الإسلاميين مناظرته وأعلن بأن كتابه محاولة لفهم الدين . وانطلق إلى جنوب أفريقيا ليحاضر هناك عن كتابه وكان من المفروض أن ينطلق إلى أمريكا لنفس الغرض . فكل هذا يدل على رغبة الفساد فى الأرض المتأصلة عند هذا المرتد ، ورغبة الفساد هذه لها قانون آخر فى الفقه الإسلامى ، لأن الإسلام يرفض هياج الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون فى الأرض .

الخلاصة :

إن الصراع بين منطقة العتمة ورموزها وفقهها وبين منطقة النور الفطرى ورموزه وفقهه ، صراع لابد منه لأن فى لوحته حكمة الخلق . فالشيطان يجلس على الصراط المستقيم ليس فى منطقة جبريل أو الرسل عليهم السلام ، إنما فى منطقة نفوذ الإنسان عند باب الفطرة على منطقة الإرادة . وكلما كان الإنسان بعيداً عن منهج ربه كلما نجح الشيطان فى دق أوتاده . وهذه الأوتاد ليست أصيلة أو ثابتة . لأنها تقتلع من جذورها بمجرد أن يعود الإنسان لمنهج ربه ، ومنطقة العتمة سينتظم

(١) أهرام ٨٩/٢/٢٧ ، والاتحاد ٨٩/٣/١ .

فيها اخر الزمان كل مدارس فقه العجول ، ومنطقة النور سينتظم فيها جيش الله وهذا الصراع سيحسم لصالح الجانب الإسلامى .

بهذا تستقيم البدايات مع النهايات ليعلم كل ذى لب أن الكون لم يخلق عبثاً إنما خلقه الله لهدف ومن وراء هذا الهدف حكمة ، وفى نهاية المطاف يقف التابع والمتبوع أمام عدل الله تعالى يوم القيامة .

ودائرة الظلام التى للحضارة الغربية أعمدة عديدة فيها : انتظمت رموزها وراء كتاب آيات شيطانية . وقمة هذا الانتظام كان فى القرار السياسى الذى اتخذته المجموعة الأوربية بمباركة باقى الدول الغربية . فماذا وراء هذا القرار السياسى ؟ فالموقف السياسى بصورة عامة يعتمد على عدة ركائز اقتصادية وعسكرية وثقافية .. إلخ . ولا يتكون الموقف السياسى من غير أساس فى الغالب الأعم . مع ملاحظة (أن الغرب تسوده الفلسفة النفعية) أى أن هناك حساباً للقيمة على أساس المنفعة . فهل لنا أن نتساءل : ما هى المنفعة التى تعود على الغرب من موقفه السياسى تجاه قضية آيات شيطانية ؟ بداية لابد أن تكون هناك منفعة وإلا ما اتخذ الغرب موقفا سياسيا . فما هى تلك المنفعة ؟ فلنفترض أن المنفعة تقوم على أساس تأييد وجهة نظر معارضة للإسلام . ولكن حسابات المنفعة لا تقر هذا الغرض وإلا اكتفى بإثارة الجمعيات الأدبية وجمعيات حقوق الإنسان . وتبتعد السياسة جانباً إيثاراً للمنفعة .

إذن هناك منفعة أكبر . نتصور أنها فى وضع ستار حديدى على الوجدان الغربى فى مقابل المد الإسلامى الذى يخاطب وجدان البشر . ويؤكد هذا المعنى كون موضوع كتاب آيات شيطانية دراما لا عقلية (وجدانية) تسوىء صورة الإسلام فى وجدان الغرب بشكل خاص .

فى مقابل هذا نجد أن الموقف الإيرانى المتمثل فى فتوى الخمينى بإهدار دم سلمان رشدى كمسلم مرتد هو موقف فقهى عقائدى يرتبط بالمسلمين من ناحية وسلمان رشدى من ناحية أخرى كمرتد ، ولا علاقة فيه للقوميات بالغرب . لكن ما لبث الغرب أن اقتحم فكرة القومية من حيث أن سلمان رشدى انجليزى الجنسية . وقام بتهديد إيران بقطع العلاقات إذا أقدمت على قتل المؤلف . عندئذ

أكد الإمام الخمينى الموقف الفقهى الإسلامى فى الرد على الموقف السياسى . بموقف سياسى مضاد له فى الاتجاه ومساوٍ له فى القرار . فأعلن أن بلاده لا حاجة لها مع الغرب .

التقط الغرب موقف الإمام الخمينى . واعتبره إعلامياً جزءاً من كتاب آيات شيطانية . أى أنه ضم الموقف إلى الكتاب ليقول لمنطقة الوجدان الغربى . هذا هو الإسلام الذى حدثكم عنه سلمان رشدى ، قتل ، ظلام ، لا فكر ولا رأى ، فى هذه الأثناء أعلن سلمان رشدى تأسفه عما أحدثه كتابه فى نفوس المسلمين . ولقد أراد الغرب من وراء هذا أن ينتهى الموقف بعد أن جمع كتابه بالطريقة التى يريدها . لكن الإمام الخمينى رد على الموقف الغربى بمفهوم معين يتضمن أننا قد فهمنا الرسالة ثم أكد الفتوى .

وبتأكيد الفتوى يُقصر الوجدان الغربى على التعقل وإعادة الحسابات والعقل بعد أن تمزقت الخطوط القائمة بين المد الإسلامى وبين الوجدان الغربى ، فتمسك الإمام الخمينى بالفتوى ليس رأياً شخصياً . وإنما هو رأى فقهى فى القضية وأن اختلفت المعالجة . وكان من الممكن تنفيذ هذه الفتوى بطريقة سرية . فكم من حوادث الاغتيالات تحدث فى الغرب بل وفى العالم . إنما التأكيد الإيرانى وإعلانه فى وسائل الإعلام المختلفة أتصوره . محاولة لإلقاء الكرة مرة أخرى إلى الملعب الغربى . وأن يعيد لها المناقشة بشكل مخالف للخط الوجدانى . أى من منظور عقلانى . فلم يعد موضوع مؤلف آيات شيطانية قضية تدار فى دهاليز الغرب . بل أصبحت قضية مفتوحة تخاطب كثيراً من العقول لإعادة النظر والدراسة والبحث وسيكون من المتعقلين للقضية المعارض والموافق . وبذلك يبقى الجانب العقلانى فى الغرب وهو محدود — ولكنه مؤثر — مع الحياد . إن لم يؤكد المفهوم الإسلامى . ولذا نجد أن كثيراً من أصوات المثقفين فى الغرب اتجهت لنظر القضية بشكل غير وجدانى . بل أن منهم من يتساءل عن ركائز الموقف السياسى الذى اتخذه الغرب تجاه القضية وأسبابه . ومنهم من رفض موقف الكتاب والكاتب وأيد فتوى الإمام الخمينى . ومنهم من نظر للقضية نظرة حسابات بمعنى كم يتكلف الغرب لحماية المؤلف ولماذا ؟ المهم أن القضية تحولت فى الغرب بشكل علنى إلى قضية تخاطب عقول جزء كبير من الغرب .

وبعد أن قطعت الدول الأوربية علاقاتها مع طهران ، أعادتها ، وخطب الإمام الخمينى . مظهراً أوربا فى صورة العائد محملًا بالخزى والعار — لمصالح ومنافع — وهى رسالة مكملة للرسالة الأولى التى أرسلها الخمينى إلى عقل ووجدان الغرب كى يتعقل القضية ، لأن سفك دم المذنب يتحدد وفقاً لجريمته ، والكتاب المقدس نفسه يحتوى بين دفتيه على عقوبات تهدر الدماء .

إن الإمام الخمينى بفتواه وخطابه بعد إعادة العلاقات مع بعض الدول الأوربية التى سعت إلى ذلك يخاطب الشعوب وليس الحكومات يخاطب وجدان الشعوب الغربية وعقلها وهى المستهدفة من العملية أساساً .

وفى النهاية صرح رئيس الجمهورية الإسلامية فى إيران فى لقاء مع وزير خارجية ماليزيا أن المؤامرة التى قام بها الغرب ضد الإسلام قد فشلت بفضل الرد الملائم من الجانب الإسلامى . وقال إن الموقف الموحد للدول الغربية يترجم تضامنها ضد الإسلام وأشار إلى أن العالم الإسلامى قادر على اتخاذ مواقف مشتركة ضد أى أخطار يتعرض لها الدين الإسلامى (١) كما أعلن مستشار المدير العام لليونسكو أن من تآمروا فى مسألة سلمان رشدى صاحب آيات شيطانية قد خابت آمالهم بعد فتوى الإمام الخمينى (٢) .

بقيت كلمة أخيرة يجب أن تضاف هنا كى يبصر العقل الغربى بعيون الوجدان الفطرى . إن المجموعة الأوربية عندما قطعت علاقاتها بإيران وفرضت العقوبات عليها . لم تنظر من الفتوى إلا على الشطر الخاص بقتل سلمان رشدى . ولم يفطن الغرب إلى صدر الفتوى . لقد جاء فى مقدمتها :

﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ .

إن فرض العقوبات نظراً للجزء الأخير من الفتوى . لم يكن يستقيم مع الجزء الأول منها .

---

(١) جريدة الوفد ١٩٨٩/٣/٢٠ .
(٢) الوفد ١٩٨٩/٤/٥ .

إن تصدير الفتوى بآيات القسر هو مشكلة الحضارة الغربية تلك الحضارة التى جعلت الذكاء هو العمود الفقرى لحركتها ، ما فائدة الذكاء مع الجفاف ونقص الأنفس والثمرات .

﴿ أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ (١) .

المقصود هنا .. أن الله يوبخ عباده ويعاتب الذين فتنوا بالذكاء وتصنموا أمام أطفال الأنابيب وأمام صور الأشعة التى تلتقط تطورات الجنين فى بطن أمه ومراقبته . الآية هنا تشد العقل إلى أبعد من ذلك تقول هل رأيتم المنى . فهذا المنى هو القضية التى لا يحلها الذكاء . ثم يأتى بعد ذلك خلق بشر من هذا المنى ، فماذا يقول العقل الذكى فى المنى ثم تطور حركته حتى يصبح إنساناً ذا عقل ذكى يعيش الغرب ويكفر بربه الله ويقول تعالى فى قضية التمر .

﴿ أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (٢) .

الحرث . العمل فى الأرض والقاء البذور عليها . هذه مهمة العقل الذكى والغبى على السواء . ثم يأتى التحدى . ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ أى تنبتونه وتنمونه حتى يبلغ الغاية ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ أى المنبتون المنمون حتى يكمل زرعاً . إن الله خلق الأسباب ولكن مشكلة العقل الذكى أنه لم يدرك . إن الأمر ينتهى إلى الله سبحانه : ﴿ وإن إلى ربك المنتهى ﴾ ويقول الله تعالى فى قضية الماء .

﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ (٣) .

السحاب الذى يرسله الله إلى قمم الجبال وإلى المناطق العطشى . ثم يسوق سبحانه ماءه إلى بلد ميت . ماذا يفعل العقل الذكى فى عدم نزول الماء . وماذا فعل عندما ضرب الجفاف أماكن عديدة من العالم وعلى رأسها أماكن فى أمريكا .

---

(١) الواقعة : ٥٨ .
(٢) الواقعة : ٦٣ .
(٣) الواقعة : ٦٨ .

ماذا فعل العقل الذكى غير أنه قدم معونات من صنع الله ، إلى إنسان من صنع الله ، فى أماكن أصابها الجفاف بأمر الله .

إن عجز العقل الذكى أمام الجفاف ونقص الثمرات ، عالجه المنهج الإسلامى فى موقف واحد . وهو « الدعاء » الدعاء إلى الله القاهر فوق عباده بعد الأخذ بجميع الأسباب . وهذه الحلقة حلقة الدعاء حلقة مفقودة داخل الجدار الغربى .

***

أَضوَاءٌ عَلَى الشَّائِعَاتِ الشّيْطانيَّة

(١) ماذا قالت آيات شيطانية ؟

- القرآن الكريم .
- تعريف بالقرآن .
- القرآن فى العهدين القديم والجديد .
- هجوم الغربِ على القرآن الكريم .

(٢) النبى محمد ﷺ .

- الأنبياء فى الكتاب المقدس .
- محمد رسول الله فى العهدين القديم والجديد .
- محمد رسول الله فى القرآن .
- الهجوم على النبى فى القد يم والحديث .

(٣) الوحى .

- شبهات وأباطيل حول الوحى .
- قصة الغرانيق .

أضواء على الشائعات الشيطانية

اتهم الحلف الشيطاني فى كتابه النبى الأعظم ﷺ بأنه نبى الجاهلية ، وأن عاصمته تدعى جاهلية ، وأنه كان مصاباً بالهلوسة ولا يتورع عن فعل أى شىء يحقق به غرضه . وإن القرآن ما هو إلا إملاء شيطانى . والشيطان ألقى على نبى الإسلام العديد من الآيات ووصف الكتاب جبريل عليه السلام بأنه بذىء اللسان يشتم الآخرين بأنهم أولاد زنى ، ووصف الكتاب أمهات المؤمنين بقدر هائل من الوقاحة والاستخفاف والقذارة فجعل المؤلف مكانتهن فى بيت يدعى (الحجاب) تمارس فيه أعمال الدعارة — كما وصف العديد من الصحابة بأنهم سكارى وأن سلمان الفارسى غشاش . كان يكتب الوحى للنبى ﷺ ويضع فى القرآن من عنده . وعندما أراد خالد بن الوليد قتله . رفض الرسول . وعفا عن سلمان الفارسى .

والكتاب فى مجمله يوجه سهام الحرب إلى : الوحى وكتاب الله . والرسول ، وصدر الاسلام الأول بصفة خاصة ، وعلى هذا فسنقتصر فى الرد على هذه الأعمدة ، وعموماً كما ذكرنا من قبل فإن الكتاب لا يحتوى على أى فكر . إنما يقوم بغرس مفاهيم فى منطقة الوجدان الغربى ، ونحن هنا سنخاطب العقل الغربى — لأنه فى يقيننا أن العقل الغربى سيعود إلى أصول الإسلام الأولى ليعرف حقيقة الضجة التى تبناها الغرب ، وفى يقيننا أيضاً أن الغرب سيتحسر على ما أنفقه للصد عن سبيل الله . لأن الله قال : وقوله الحق إن هذا الدين ظاهر ، منتصر ، ولو كره من فى الأرض جميعاً .

***

القرآن الكريم

القرآن هو كتاب الله ـــ كتاب الله المصون من أى تحريف على هذه الأرض ـــ أنزله الله تعالى على قلب محمد ﷺ ليرشد الفطرة إلى طريق سعادتها . من منطلق أن كل إنسان يدرك بفطرته أنه قادر على جملة أفعال . فيمكنه أن يفعلها . وأن يتركها . وهذا الحكم فطرى . لا يشك فيه أحد ، إلا أن تعتريه شبهة من خارج الإنسان . وقد أتفق العقلاء كافة على ذم فاعل القبيح ، ومدح فاعل الحسن . وهذا برهان على أن الإنسان مختار فى فعله . غير مجبور عليه عند اختياره لهذا أسند القرآن الفعل إلى العبد واختياره قال تعالى : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ (١) .

إن القرآن وضع بدايات طريق الهدى فى أيدى البشر . فمن أخذ بالبدايات وسار فى طريق الهداية وواجه الابتلاءات بالزاد الذى فرضه منهج الهداية . نجا وزاده الله هدى ، ونال الثواب فى الآخرة ، ومن استحب العمى على الهدى فهو وشأنه .

والقرآن الكريم ليس بكتاب تاريخ أو فقه ، أو أخلاق ، أو ما يشبه ذلك ـــ إنما هو كتاب أنزل لهداية البشر ، لأن فيه بيان كل شيء وجميع المعارف الإلهية والحقائق الموجودة فيه تستند إلى حقيقة واحدة هى أصلها جميعاً . وهى التوحيد . والقرآن وصفه الله تعالى ﴿ **بالذكر الحكيم** ﴾ وذلك دليل على عدم وجود نقطة ضعف أو لهو الحديث فيه . وكتاب الله تعالى يتعلق بمشيئة الله سبحانه لا مشيئة النبى ﷺ وأنه منزل من علم الله اللامتناهى ، وأنه لم يؤخذ من غيره . وأنه لم يكن افتراء على الله . ولم يكن من أساطير الأولين . والقرآن تحدى الناس بالأخبار عن الغيب وتحداهم بعدم الاختلاف فيه وتحداهم بالبلاغة . تحدى القرآن البشرية جمعاء فى بلاغته . وفى هذا يقول علماء الإسلام :

هذا يكشف فى حد ذاته أن للقرآن أسلوباً خارجاً عن حدود التعليم والتعلم ، ولو كان القرآن من كلام الرسول وإنشائه ـــ لوجدنا فى بعض خطب الرسول ﷺ وكلماته ما يشبه القرآن فى أسلوبه . ويضارعه فى بلاغته .

---

(١) سور الكهف : ٢٦ .

وكلمات الرسول ﷺ وخطبه محفوظة مدونة تختص بأسلوب آخر . ولو كان فى كلماته ما يشبه القرآن لشاع نقله وتدوينه . وخصوصاً من أعدائه الذين يريدون كيد الإسلام ، بكل وسيلة وذريعة ، هذا قديماً ، أما حديثاً فنحن نرى أعداء الإسلام يبذلون الأموال الطائلة فى الحط من كرامة هذا الدين ، والنيل من نبيه الأعظم ﷺ . وكتابه المقدس . ويتكرر هذا العمل منهم فى كل عام بل فى كل شهر . فلو كان من الميسور لهم أن يعارضوا القرآن . ولو بمقدار سورة منه ، لكان هذا أعظم لهم فى الحجة . وأقرب لحصول الأمنية . ولما احتاجوا إلى صرف هذه الأموال . وإتعاب النفوس .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) .

إن القرآن تحدى بالاتيان بسورة منه أو بعدد من السور . وعجز الناس عن الاتيانِ بمثل القرآن دليل على إعجاز القرآن . وعجز المشركين عن معارضة القرآن دليل على التوحيد .

إنه كتاب خالد يحتوىَ على شريعة خالدة . إنه معجزة الله الخالدة للشريعة الخالدة . إنه الكتاب الذى نور قلوب أولئك العاكفين على الأصنام المشتغلين بالحروب الداخلية والمفاخرات الجاهلية . فجعلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم . يؤثر أحدهم حياة صاحبه على نفسه . إنه الكتاب الذى كشف فقه العجول وكشف وجه أصحابه الكالح على مر العصور .

إن القرآن له قوة لم تكن فى كتاب غيره . أنظر إلى تاريخ الحواريين . وإلى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء . تعلم كيف كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد . ويسلمونهم عند خشية الهلاك . لذلك لم يكن لأولئك الأنبياء تقدم على طواغيت زمانهم . بل كانوا يتسترون عنهم بالكهوف والأودية حتى جاء محمد النبى ﷺ الخاتم بالكتاب المعجز الذى يربى النفوس ويدربها على مصارعة الجبابرة . ليس من أجل القهر والغلبة . إنما من أجل إحقاق الحق . وإقامة العدل . والقرآن الكريم . الذى لم

---

(١) سورة الصف : ٨ .

ينج من هجوم الغرب : الغرب الذى يتحرك من منطلق عقائدى . زُين له . هذا القرآن مُبشر به . وتوجد معالمه داخل الكتاب المقدس المتداول اليوم .

القرآن الكريم فى العهد الجديد

تكلم سفر الرؤيا عن عاصمة جديدة لدين جديد . وأن هذه العاصمة مكعبة الشكل إشارة إلى الكعبة التى إذا بنيت على أساسها ستكون مقاييسها هى نفس المقاييس التى ذكرت فى السفر . وعندما حدد السفر أوصاف المسلمين كما ذكرنا فى كتابنا المسيح الدجال . ذكر أن أهل هذا الدين .

يرتلون بترتيلة جديدة [1] .

وقال مفسرو أهل الكتاب : (هم يترنمون ترنيمة جديدة . لم يترنموا بها من قبل ولم يترنم بها أحد سواهم[2] والحق الذى تنطق به الشفاه سوف يكون الحق السرمدى الذى يحوى الجمال فى تنوعه)[3] .

فالترتيلة جديدة لأنها ترتيلة انطلقت من بيت غير بيت يعقوب . انطلقت من بيت إسماعيل فى مربع العرب . (ولم يترنم بها أحد سواهم) لأن القرآن نزل بلسان عربى ولا يترنم به غير اللسان الذى تعلم العربية (وهو حق سرمدى) لأن الله تعالى كشف به ماضيا تم التعتيم عليه . ووجه الحاضر إلى الأمن . وكشف المستقبل حتى يتبين السائر أين تكون قدماه . إن كتاب الله فصل فى قضايا الحق فى الماضى والحاضر والمستقبل ، لأنه يخاطب الفطرة فى الإنسان . والفطرة أصل أصيل سرمدى . وهكذا القرآن . حق سرمدى . كما قال أهل الكتاب .

القرآن فى العهد القديم

تكلم سفر التثنية عن رسول الله ﷺ تكون قوته فى فمه . وهذا النبى ليس من شجرة بنى إسرائيل . إنما هو من الفرع الإبراهيمى الآخر . فرع إسماعيل قال النص :

---

(١) الرؤيا : ٥/٩ .
(٢) تفسير الرؤيا / ويسلى ٦٥ .
(٣) المسيح الدجال / سعيد أيوب .

(أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك . واجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به) (١) .

فالنص حدد أن النبى ﷺ غير قارىء ولا كاتب . وتكون رسالته من فمه . والعرب أمة أمية ما تكتب وما تحسب . وكان اليهود يصفون العرب بأنهم أمة غبية نظراً لأميتها (٢) وعيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل نشأ فى بيئة كانت تقرأ وتكتب . وهو كان معلماً فى هيكل سليمان بأورشاليم مع كونه نبياً . وكان على وجه الخصوص . قارئاً وكاتباً فقد حكى لوقا عنه « ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر أشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه : روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين .. وأكرز بسنة الرب المقبولة » (٣) أى أنه دخل داراً من دور العبادة ليعظ ويبشر بسنة الرب . أى سنة مجىء النبى الذى وعد اليهود به موسى .

من هذه النصوص نجد أن النص بشر بنبى أمى ، وهذا النبى ليس من الحى اليهودى فإذا كان عيسى عليه السلام يقرأ ويكتب فمن هو النبى الأمى الذى يجعل الله كلامه فى فمه ؟ إنه محمد رسول الله قال تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم** ﴾ (٤) وقال تعالى لرسوله : « **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب . ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** » (٥) .

إن الغرب لو قرأ فى كتب السابقين بتفكر فى عالم الفطرة ، سيجد معالم هذا الوحى السماوى الطاهر . الحق المصون من مداخلة الشياطين ظاهراً وباطناً فباطناً صحفه مطهرة ﴿ **رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة** ﴾(٦) أى مقدسة من قذارة الباطل بمس الشياطين وظاهراً ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ (٧) .

---

(١) التثنية ١٨/١٨ .
(٢) تث ٣٢/٢١ .
(٣) لوقا ٤/١٦ ــ ١٩ .
(٤) سورة الجمعة : ٢ .
(٥) سورة العنكبوت ٤٨ .
(٦) سورة البينة ١ .
(٧) سورة الواقعة : ٧٩ .

لكن الغرب اتبع خطوات أصحاب العقول العفنة الذين تحجرت عقولهم عند آخر مرحلة لفقه العجول ذلك الفقه الذى أرسى قواعده الشيطان من أجل أن ينحرف بالفطرة عن التوحيد . لقد قالوا-قديماً كما أخبر الله تعالى عنهم .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ (١) .

لقد طالبوا بقرآن غيره عندما ضرب القرآن أهواءهم فعندما وجدوا أنفسهم بين صرخات الأهواء ونداء الفطرة ركنوا إلى مطالب الأهواء لأنهم ألفوا حياة الدنس والعار لهذا قال لهم رسول الفطرة ــ كما أخبره ربنا فى كتابه المجيد :

﴿ قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى ﴾ (٢) .

إن التبديل والتغيير يتعلق بمشيئة الله لا بمشيئة النبى ﷺ إن مخاطبة الله تعالى للجنس البشرى على امتداد تاريخه هى مخاطبة لفطرة هذا الجنس الذى أودع الله فيها ميثاقه يوم أن أخذه فى عالم الذر ــ لقد أشهدهم **﴿ ألست بربكم ﴾** فشهدوا **﴿ بلى شهدنا ﴾** وبمقتضى هذه الشهادة نزلت الكتب والقرآن هو آخر الكتب .. والخارج عنه هو خارج عن دائرة الفطرة .

إن القرآن لا يبدل إلا إذا عادت الأرواح حيث كانت ثم يأتى بها الله ويأخذ عليها ميثاقاً جديداً . على مقتضاه ينزل وحى السماء لكن : **﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾** إن الخلف الإبليسى الذى تحدث عن القرآن فى كتابه آيات شيطانية تكلم عنه بأسلوب ترفض الفطرة أن تنزلق إليه ــ هذا الخلف عليه أن يجمع علماءه ويطالبهم ببرمجة أحكام القرآن . ثم قراءتها قراءة (علمية) ونحن على يقين أنهم سيشهدون بشذوذ أنفسهم عن الحق .

وإذا كان هناك من طالبوا قديماً بتبديل القرآن فإن هناك أيضاً صنفاً آخر أخبرعنه ربنا فقال :

---

(١) سورة يونس ١٥ .
(٢) سورة يونس : ١٥ .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (١) .

قال فى الميزان :

أى إذا تتلى عليهم آياتنا التى لا ريب فى دلالتها . على أنها من عندنا . وهى تكشف عما نريد منهم من الدين الحق . لجوا ولم يعتدوا بها . وهونوا أمرها . وأزروا برسالتنا . وقالوا قد سمعنا وعقلنا . هذا الذى تلى علينا . لا حقيقة له إلا أنه من أساطير الأولين . ولو نشاء لقلنا مثله غير أننا لا نعتنى به ولا نهتم بأمثال هذه الأحاديث الخرافية .

لقد توارثت عقول أصحاب فقه العجل هذه المقولة . وكشفوا عن السبب الحقيقى الذى من أجله قالوا بهذا ، يخبر المولى سبحانه عن السبب الأساسى لرفضهم القرآن . فيقول :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . قالوا ما هذا الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم . وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى . وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ (٢) .

هذه هى القضية . المحافظة على الشذوذ والعجول . المحافظة على خط [الإيدز] حتى ولو كان فيه هلاك الجميع من أجل بنى إسرائيل . وميراثهم . والمحافظة والولاء التام . لعهد الشيطان وخطواته . هذا كله هو السبب الحقيقى للنفوس التى رفضت القرآن . تلك النفوس التى ستقف يوما أمام عدل الله يوم القيامة ليقول لها :

﴿ أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ﴾ (٣) .

إن طريق الآباء قام بتغليف الفطرة فحجب نورها وعندما جاءهم الحق . استكبرت نفوسهم أن تخرج من تحت عباءة الآباء والأجداد . فأطلقوا مقولاتهم التى تخفى استكبارهم [**لو نشاء لقلنا مثل هذا**] فلماذا لا تقولون اذن . ما الذى يمنعكم يا أصحاب الأخلاق . يا من يجلس تحت موائدكم آلاف من أمثال سلمان

---

(١) الأنفال ٣١ .
(٢) سبأ ٤٣ .
(٣) الجاثية ٣١ .

رشدى . يحملون الأسماء الإسلامية ويجيدون العربية . لماذا لم تأتوا بمثله كما قال اباؤكم من قبل . أنتم لن تقدموا على هذا . لأن الفشل نتيجة حتمية لأى محاولة تجرى اليوم أو الغد . كما فشلتم بالأمس . عندما خرج طابوركم الكذاب يدعى أنه جاء بقرآن . فذهب واندثر هو وما ادعاه ، والخلف الابليسى فى الغرب قام بنفس المحاولة قديما . عندما أوحى إلى شيطان من شياطينه بأن يكتب رسالة يعارض بها القرآن . وخرجت رسالة « حسن الإيجاز » وهى كتيب صدر عن المطبعة الإنجليزية الأمريكية ببولاق مصر عام ١٩١٢ . وقام الشيطان بذكر جمل اقتبسها من نفس القرآن وحور بعض الفاظها . وزعم أنه يعارض بها القرآن (١) . وهذه الرسالة التى روج لها الغرب كثيرا وطبعها فى مطابعه كما طبع آيات شيطانية اندثرت ولبست رداء المذلة والفشل والعار .

• اسمعوا يا من اتهمتم القرآن بأنه كتاب سحر . إن القرآن أخبر بأننا سننتصر عليكم فهيا أثبتوا غير ذلك . هيا رقعوا عالمكم . أن كل رقعة ستوضع على وجه الإيدز اليوم ستأتى بإيدز فى الغد . لأن الحضارة نفسها أصيبت بمرض فقد المناعة . وهذا ليس من قولنا إنما من قول علماء الغرب أنفسهم . إن القرآن أخبر بأن حضارة الوضوء ستنتصر على حضارة الدنس . فأثبتوا غير هذا إن كنتم صادقين .

﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق . واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا ﴾ (٢) .

أن حساب الناس فى الدنيا أو الآخرة ليس من شأن العبيد . إنما هو من شأن الله . وأنه لما يخدع الناس . أن يروا الفاجر الطاغى أو المستبد الفاسد أو الملحد الكافر . ممكنا له فى الأرض غير مأخوذ من الله . ولكن الناس يستعجلون . أنهم يرون أول الطريق . أو وسطه ولا يرون نهاية الطريق ونهاية الطريق لا ترى الا بعد أن تجيء ..

---

(١) صدر رد على هذه الرسالة من السيد أبو القاسم الخوئى سنه ١٣٤٢ هـ طبع فى المطبعة العلوية بالعراق .

(٢) الكهف ٥٦ .

النبى محمد لله ﷺ

لقد أراد صاحب الآيات الشيطانية . أن يقول للوجدان الغربى . إنك إذا ذهبت إلى المربع الإسلامى فلن تجده أحسن حالا من مربع أهل الكتاب . فكن كما أنت . لأن المربع الإسلامى تفوح منه رائحة تزكم الأنوف .

لقد أجرى المؤلف . عمليات التلويث للرموز الإسلامية . كى يستقيم خط التلويث من بدايته إلى نهايته . لكنه فات عليه إن الإسلام لم يأت الا بصحف مطهرة . وينظر إلى رسل الله تعالى جميعا نظرة احترام كامل . وتقديس . إن العمليات التلويثية هذه لدليل على أن صاحبها قد شرب من ثقافة غير إسلامية حتى ارتوى عوده . وانطلق بثقافته كى يجعلها قاعدة فى محاولة منه لفهم الدين على حد قوله . كى تستوى المناهج . ويقف كل إنسان عند مكانه . والمعروف أن الأسفار القديمة لم تنزه الأنبياء ولم تظهرهم على حقيقتهم من القداسة والنزاهة وجميل الذكر ، إنما نزلت بهم منزلة وضيعة ، ولنذكر لذلك أمثله :

ـــ فى الإصحاح ١٩ من سفر التكوين : قصة لوط مع ابنتيه فى الجبل . وأن الكبيرة قالت لأختها « أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا .. هلمى نسقى أبانا خمرا . ونضطجع معه . فنحيى من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة . واضطجعت معه الكبيرة ، وفى الليلة الثانية سقتاه الخمر أيضا . ودخلت معه الصغيرة ، فحملتا منه !

هذا ما نسبوه إلى لوط .

ـــ وفى الاصحاح الأول من كتاب « هوشع » إن « أول ما كلم الرب هوشع . قال الرب لهوشع : أذهب خذ لنفسك أمرأة زنى . وأولاد زنى . لأن الأرض قد زنت زنى . تاركت الرب . فذهب وأخذ « جومر » بنت دبلايم فحبلت وولد له ابنان وبنت .

اهكذا يكون أمر الله . يأمر نبيه بالزنى وبمحبة امرأة زانية .

• إن رسالة الشائعات الشيطانية . ستسقط حتما . بمجرد أن ينظر العقل الغربى فى أصول الإسلام . فأنبياء الله تعالى لهم مكانتهم فى العقيدة الإسلامية وكتاب الإسلام جاء بالأخبار الصادقة الطاهرة . فأى شذوذ يعرض على الفطرة

محكوم عليه بالفشل . لأن القاعدة التى قامت عليها الفطرة هى التوحيد . وطريق برنامج التوحيد هم رسل الله تعالى ، وهؤلاء الرسل لابد أن تدثرهم ثياب طهارة المنهج نفسه .

• وأسلوب الهجوم على رسول الله ﷺ أسلوب قديم . لكنه يقوم بالهجوم وفقا لبصمات العصر من الدعاية والمعروف أن علاقة الإعلام بالمجتمع هى علاقة تأثير وتأثر . والدعاية فى عهد النبى الأعظم . كانت تخضع لهذه العلاقة أى التأثير فى مجتمع المدينة والتأثر بظروفها وظروف العصر كله . وإذا كانت الوسائل وقتئذ بدائية إلا أنها لا تختلف كثيرا عن اليوم الا فى استخدام الوسائل الالكترونية ذات الصبغة الجماهرية العامة . قديما . قالوا ما قاله الخلف الشيطانى اليوم . فهم أسرة واحدة . قد لا يعرف بعضهم بعضا . لكنهم جميعا انتظموا فى مربع الأهواء الذى يغذيه فقه العجل الذى أسسه الشيطان . اتهموه قديما بأنه ساحر مجنون ولأن أصحاب الشائعات أسرة واحدة . نسب الله تعالى الذين اتهموا الرسول بالسحر والجنون إلى اسلافهم من قبل .

﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ (١) .

فالذى قالوه من قبل الرسول ، قالوه أثناء بعثة الرسول ، واليوم يردده الخلف الشيطانى فى شائعاته الشيطانية . إنها قذارة الأمس ، واليوم ، وستكون أيضا قذارة الغد . لأن الباطل سيكون دوما خصما للحق . لقد قالوها اليوم بوسائل الكترونية لتصل ، إلى أهداف الكترونية . ثم يجد الجميع أنفسهم فى وعاء كرتونى لا يثبت على الأرض لأنه طارىء قذر لا أصالة فيه . طارىء يندفع بقوة الذهب المصهور فى قلبه . ذهب العجل الذى عبدته بنو اسرائيل . وكما ذهب العجل . سيذهب حفدته وتلاميذه أجمعون . الذين أرسوا قواعد علم التلجيم ورفعوا راية التعتيم واطلقوا عليها دجلا حرية الفكر .

لقد شتم آباء الجهل رسول الله ﷺ . فذهب آباء الجهل . وبقى الرسول ، وسيبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولقد كذب الأولون

---

(١) الذاريات ٥٢.

رسول الله ، فذهبوا ، وها هى الجماهير الفطرية تأتى من كل مكان تبحث عن ريح محمد ، عن صوت محمد ، عن أثر محمد ، ولقد استعمل الأولون حملات التيئيس لتفريق الناس عن محمد . فذهبوا . وبقى رجال محمد حول منهج الله الذى أنزله على محمد ﷺ .

إن محمدا سيد ولد آدم على الإطلاق . لأنه صاحب الرسالة الخاتمة الشاملة . ومبعوث رب العالمين للبشرية جمعاء . كان يقول « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل . بنى دارا فأتمها . وأكملها . الا موضع لبنة . فجعل الناس يدخلونها . ويتعجبون . منها . ويقولون . لولا موضع اللبنة . فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»(١) .

• وقد صرح القرآن المجيد فى جملة من آياته الكريمة أن موسى وعيسى عليهما السلام ، قد بشرا برسالة محمد ﷺ . وأن هذه البشارة مذكورة فى التوراة والإنجيل فقد قال تعالى :

﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾(٢) . قال علماء الإسلام فى هذا النص :

وقد آمن كثير من اليهود والنصارى بنبوته فى زمن حياته وبعد مماته وهذا يدلنا دلالة قطعية على وجود هذه البشارة فى الكتابين المذكورين فى زمن دعوته . ولو لم تكن هذه البشارة مذكورة فيهما . لكان ذلك دليلا كافيا لليهود والنصارى على تكذيب القرآن فى دعواه . وتكذيب النبى فى دعوته . ولأنكروا عليه أشد الإنكار .

وهذا يجعلنا نفهم موقف النجاشى ملك الحبشة من الدعوة . لقد تبين حقيقة الأمر وهو على رأس دولة نصرانية . فآوى المهاجرين إليه من المسلمين وأحسن إليهم . وعندما مات النجاشى . صلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب . والكتب التى حوت البشارات برسول الإسلام لا حصر لها . ومنها على سبيل المثال :

---

(١) مسلم : ١٥/٥٢ .

(٢) الاعراف ١٥٧ .

جاء فى كتاب الرد على النصارى لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى المتوفى فى القرن السابع الهجرى [1] نصوص يذكر فيها اسم محمد فى التوارة صراحة . ويبدو أن هذه النسخ غير متداولة الآن يقول المؤلف قال داود فى مزاميره « إن ربنا عظيم محمود جدا . وفى اقرية الاهنا قدوس . ومحمد قد عم الأرض فرحا » وفى سفر أشعياء « تفهمى أيتها الأمم . أن الرب اهاب بى من بعيد . وذكر اسمى وأنا فى الرحم . وحاطنى بظل يمينه . وجعلنى كالسهم المختار من كنانته . وقربنى لسره . وقال لى : أنت عبدى . فصرفنى وعدلى قام الرب . وأعمالى بين يديه . وصيرت محمدا عند الرب » وفى مكان آخر قال الله تعالى « إنى جعلت اسمك محمدا يا محمد قدوس الرب اسمك موجود من الأبد » .

لقد ذكرت ذلك من أجل الباحثين عن الحقيقة فى الغرب لعلهم يصلون إلى هذه المخطوطات والنصوص التى ذكرتها هى فى المزامير ٤٥ أو ٤٤ / ٤ — ٨ ، اشعياء ٥٢/٤٩ ، ٤١ / ٨ — ١٦ وأيضا فى حبقوق ٢/٣ وارميا ١/١ — ٥ وهذه النصوص التى تصرح باسم النبى الاكرم كانت توجد فى بعض النسخ التى كانت على عهد النبى ﷺ . وكان النبى يحتج بها على أهل الكتاب . وكان عليه السلام يسأل العديد منهم عن مواضع اسمه . لهذا قال الخلف الإبليسى فى كتابه الآيات الشيطانية . أن محمداً كان يتعلم القرآن من أهل الكتاب . وهل عند أهل الكتاب آية واحدة تستوى مع بلاغة القرآن .

- أما صفات النبى محمد ﷺ فى العهد الجديد فهى على سبيل المثال :

جاء فى متى ٤٢/٢١ — ٤٣ قال المسيح : ألم تقرأوا أن الحجر المتروك صار أسا للزاوية من عند الله كان هذا وهو عجب عندنا . وكذلك أقول لكم . إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى . تأكل ثمرتها ومن سقط على هذا الحجر فيشدخ . وكل من سقط عليه هو يمحقه » .

المسيح يصفه بأنه الحجر الذى رفضه البناءون .. حتى جاء وقته فوضعه الله . وفى الحديث الشريف يقول النبى ﷺ « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله . إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس

---

(١) ناشر الكتاب مكتبة المدارس ، الدوحة — قطر .

يطوفون به ويعجبون له . ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (١) .

ويقول الشيخ أبي البقاء : من هذه الأمة التي دفع إليها ملكوت الله . فأكلت ثمرتها بعد المسيح ، كما جاء في بشارة المسيح ؟ إنها أمة محمد ! ومن هذا الذي كل من غزاه انشدخ . وكل من تولى هو غزوه وقتاله محقه وأباده . أنه هذا النبي وأمته ! وإن زعم النصارى أن المراد بذلك المسيح قلنا : ما هكذا أخبرتمونا عن مسيحكم . بل الذي حكيتم لنا أن شرذمة من خساس اليهود وقعوا على المذكور فشدخوه . ثم قتلوه شر قتلة وصلبوه . وقد ثبتت نبوة محمد ﷺ بالقواطع والحجج المقبولة البالغة . وأوضحنا ذلك . فإن قيل : قد حذرنا المسيح من الأنبياء الكذبة الذين يلبسون لباس الخراف . وهم في الباطن بصورة الذئاب الضارية . ثم وصفهم فقال : ومن قبل ثمارهم تعرفونهم . قلنا : هذا تصريح من المسيح عليه السلام بمجيء نبي صادق . اذ خص التحذير بالكذبة . ألا تراه كيف جعل ثمارهم وما يدعون اليه أمارة على صحة أمرهم . ولو كان الأمر على ما توهمه . مورد السؤال . لقال : لا نبي بعدي ولم يحوجهم للاستدلال بثمارهم على كذبهم وإلا فقد نص على مجيء النبي الصادق في إنجيله . ثم أن الكاذب هو من لم يقم على نبوته دليل . وجاء محمد ﷺ . بالادلة المقبولة . والمعجزات التي هي بلسان التواتر منقولة : وقال المسيح عليه السلام : من قبل ثمارهم تعرفونهم . وقد علم المخالف والموالف . أن محمداً رسول الله . لم تثمر شجرته عبادة غير الله . ولم يشرك مع الله غيره . ولا جعل له ندا من خلقه ولا ولدا . ولا قال لأمته اعبدوا الهين اثنين ولا ثالث ثلاثة . ولا عبد رجلا . ولا عجلا ولا كوكبا .. بل دعا إلى عبادة إبراهيم . إله واحد . لا إله إلا هو . وأخلص لله وحده . ونزهه عن النقائص والآفات . وجاء بكتاب من عند الله أمر فيه بطاعة الله . ونهى عن معصيته . وزهد في الدنيا . ورغب في الآخرة وأمر بالمعروف . ونهى عن المنكر . وأمر ببر الوالدين . وصلة الرحم . وحفظ الجار . وفرض الصدقات وأمر بالصوم والصلاة . وحث على مكارم الأخلاق . ومحاسن العادات . ثم كسر الأصنام . وعطل الأوثان . وأخمد النيران . وأعلن الأذان .

---

(١) رواه مسلم ١٥/٥١ وقد مر بلفظ آخر .

فهذه ثمار سيد ولد آدم محمد ﷺ !! فهل عرفتموه من ثماره ؟

• كانت هذه نخبة لزوم الباب . ومن أراد المزيد . فعليه بالكتب التى تحتوى على بشارات نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل وهى كثيرة ومتوافرة .

﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾ (١) .

﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين** ﴾ (٢) .

• إن من خصائص محمد ﷺ أن الله فرض طاعته على العالم فرضا مطلقا . لا شرط فيه ولا استثناء قال تعالى ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٣) وقال ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (٤) وقال ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ (٥) .

ومن خصائصه أيضا أن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على مر الدهر وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره ومشتمل على جميع الكتب وزيادة وميسر للحفظ قال تعالى :

﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ (٦) .

وقال ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (٧) وقال ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (٨) .

ومن خصائصه أن من تقدمه من الأنبياء كانوا يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح عليه السلام ﴿ **قال يا قوم ليس بى ضلالة . ولكنى رسول من رب العالمين** ﴾ (٩) وكقول هود عليه السلام ﴿ **قال يا قوم ليس بى سفاهة . ولكنى رسول من رب العالمين** ﴾ (١٠) . والقرآن به العديد من هذه الردود . أما النبى محمد ﷺ . تولى الله تبرئته مما نسبه إليه اعداؤه ورد الله

---

(١) التوبة ٦٥ . (٢) المجادلة ٢٠ . (٣) الحشر ٧ .
(٤) النساء ٨٠ . (٥) الاحزاب ٢١ . (٦) الاسراء ٨٨ .
(٧) الحجر ٩ . (٨) فصلت ٤٢ . (٩) الاعراف ٦١ .
(١٠) الأعراف ٦٧ .

عليهم بنفسه فقال سبحانه ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ (١) وقال ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (٢) وقال ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له . إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** ﴾ (٣) .

ومن خصائصه أيضا أن الله تعالى زكى خلقه فقال تعالى له :

﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (٤) .

ـــ ومن خصائصه أن الله تعالى اختصه بدعوة هي دعوة للناس كافة . وأنه أكثر الأنبياءأتباعاً، وبإرساله له إلى الجن بالإجماع وإلى الملائكة في قول ، وبإيتائه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٥) وقال ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ (٦) .

ـــ واختصه الله بأن أمته خير الأمم وآخر الأمم . ففضحت الأمم عندهم . ولم يفضحوا . وأنهم ميسرون لحفظ كتابهم في صدورهم . وأنهم اشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى . المسلمون والمؤمنون . وسمى دينهم الإسلام . ولم يوصف بهذا الوصف الا الأنبياء دون الأمم .

قال تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (٧) وقال ﴿ **لقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ (٨) وقال ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ (٩) .

• هذه صفات محمد رسول الإنسانية وهذه معالم رسالته . وهذه الصفات والمعالم لن تنال منها أي أيد أو أي منهج أو أي حضارة . هذا هو رسول الفطرة . محمد . وارث إبراهيم خليل الرحمن . وحامل راية الأمة التى اختصها الله لتقود البشرية إلى عالم الطهر والنقاء .

---

(١) القلم ٢ (٢) النجم ٢ ، ٣ (٣) يس ٦٩
(٤) القلم ٤ (٥) سبأ ٢٨ (٦) الفرقان ١
(٧) آل عمران ١١٠ (٨) القمر ٢٢ (٩) الحج ٧٨ .

ــ فهل يقبل العقل الغربى ما أرادوا أن يضعوه فى وجدانه . إن البحث عن محمد ينبغى أن يكون فى أصول الإسلام الصحيحة . فحلف الشيطان كان يحتوى قديما على أناس يتجلدون بالجلود الآدمية ويتسمون بالأسماء الإسلامية من أجل وضع أسس تعمل على لوى نور الفطرة . وجذبه إلى نور ذهب العجل . كى ينصهر معه . ولكن الفطرة الصافية تستطيع أن تميز بين النور الصافى وبين النور المخلوط .

● أما الكعبة التى وصفتها الشائعات الشيطانية بأنها عاصمة الجاهلية . فلقد بشر بها العهد القديم .

جاء فى نبوءة ميخا ٤/١ ــ ٢ عندما ذكر الكعبة وحج الناس إليها فى آخر الزمان « إنه يكون فى آخر الأيام بيت الرب مبنيا . على قلل الجبال . وفى أرفع رؤوس العوالى . تأتيه جميع الأمم . يقولون . تعالوا نطلع إلى جبل الرب .

يقول الشيخ أبى البقاء الجعفرى : إن زعم أهل الكتاب أن ذلك بيت المقدس . قيل لهم فالبيت كان فى الزمان الأول . وإنما قال هذا النبى : أنه يكون فى آخر الأيام . وإلا فبيت المقدس كان معظما فى زمان ميخا . والنبى لا يتنبأ على شيء حاضر معه . وإنما يتنبأ على شيء لم يأت بعد .

هذه هى الكعبة عاصمة النور . التى وضعها صاحب الآيات الشيطانية حول سور الجاهلية عندما أشار إلى مكة بأنها عاصمة الجاهلية والتى بها دار بغاء تدعى « الحجاب » فهل يقبل العقل الغربى ما أرادوا أن يضعوه فى وجدانه بأشعارهم الشيطانية .

إن الكعبة مبشر بها فى كتب أهل الكتاب . والذين لا يرونها بعين الحقيقة هم مصرفون عنها لتمسكهم بالضلال وتركهم الماء النظيف .

﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا . وأن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾(١) .

---

(١) الاعراف ١٤٦ .

﴿ ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ﴾ (١) .

٣ - الوحى

قالوا فى شائعاتهم الشيطانية إن الشيطان كان يلقى إلى محمد ببعض آيات القرآن . ودافعت صحف الغرب عن هذه المقولة . وقالوا : بما أن محمدا ليس فيه صفة إلهية مثل المسيح فهو معرض شأنه شأن أى بشر للشيطان . وهو معذور فى ذلك . لأنه بشر أولا وأخيرا . وقال المؤلف نفس المقولة فى معرض الدفاع عن نفسه . وهذه المقولة ليست بنت اليوم . بل قالها الطابور الطويل الذى أخذ على عاتقه مهمة الصد عن سبيل الله . قالوها أيام رسول الله . وقالوها بعده عندما التقطوا حديثاً يتعارض مع القرآن شكلا وموضوعا . وقاموا بتفسير آيات الله بما لا يستقيم مع كتاب الله . إن الأساس فى كتاب الله . أن رسول الله ﷺ وصفه تعالى بقوله :

﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ (٢) .

إذن فهو بعيد كل البعد عن غواية الشيطان . الذى أعلن من يومه الأول . عندما رفض أمر الله تعالى ولم يسجد لآدم . ﴿ ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٣) فالنبى ما غوى ابتداء لأنه من المخلصين انتهاء . فمن قام بتفسير آية تتعدى هذا المفهوم . والإسلام لا يعبأ بتفسيره . وبعد أن أعلن ربه فى كتابه أن رسوله ماغوى . قال سبحانه .

﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (٤) .

بهذا تكتمل دائرة العصمة ولا يسمح لأى تفسير أن يتجاوزها . فالرسول معصوم فى مرحلة استلام الوحى ومعصوم فى الاحتفاظ بالوحى ومعصوم فى تبليغ الوحى . لأن حركة لسانه ﷺ تتم بما يستقيم مع نزول الوحى من وقت استلامه إلى وقت تبليغه . قال تعالى لرسوله ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ (٥) .

---

(١) الأحقاف ٣٢ (٢) النجم ٢
(٣) الحجر ٤٠ (٤) النجم ٤
(٥) القيامة ١٨

فالآيات السابقة على هذه الآية تصف يوم القيامة . ثم جاءت هذه الآية لتتضمن أدبا إلهيا كلف النبى ﷺ أن يتأدب به حينما يتلقى ما يوحى إليه من القرآن الكريم . فلا يبادر إلى قراءة ما لم يقره بعد . ولا يحرك به لسانه . وينصت حتى يتم الوحى . وقيل فى معنى الآية : لا تحرك بالوحى لسانك لتأخذه عاجلا فتسبقنا إلى قراءة ما لم نقره بعد . وهذا كما فى قوله تعالى ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه** ﴾ (١) ثم قال له ربه جل وعلا ﴿ **ان علينا جمعه وقرآنه** ﴾ والمعنى كما قال فى الميزان : لا تعجل به إذ علينا أن نجمع ما نوحيه إليك . بضم بعض اجزائه إلى بعض وقراءته عليك فلا يفوتنا شيء منه . وقيل : المعنى أن علينا أن نجمعه فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه . وأن نثبت قراءته فى لسانك بحيث تقرأه متى شئت .

فالرسول حركته قوله وفعله مضبوطة بالعصمة . والطريق من جبريل إلى الرسول ﷺ مضبوط بالعصمة قال :

﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا** ﴾ (٢) .

قال فى الميزان : « فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » إلى قوله « عددا » ضمير « فإنه » لله تعالى وضمير « يديه » و « خلفه » للرسول والراصد المراقب للأمر الحارس له . والرصد الراصد . والمراد [بما بين يدى الرسول] ما بينه وبين الناس المرسل إليهم . [وبما خلفه] ما بينه وبين مصدر الوحى الذى هو الله سبحانه والمعنى : فإن الله تعالى يسلك ما بين الرسول ومن أرسل إليه . وما بين الرسول ومصدر الوحى مراقبون حارسون من الملائكة . ومن المعلوم أن سلوك الرصد . من بين يديه ومن خلفه لحفظ الوحى من كل تخليط . وتغيير بالزيادة والنقصان يقع فيه من الشيطان بلا واسطه أو معها .. وفى قوله تعالى ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** ﴾ أى ليتحقق إبلاغ رسالات ربهم . أى لتبلغ الناس رسالاته تعالى على ما هى عليه من غير تغير وتبدل .

---

(١) طه ١١٤ .

(٢) الجن ٢٧ ، ٢٨ .

وقال فى الميزان : نعلم أن الوحى الإلهى محفوظ من لدن صدوره من مصدر الوحى إلى بلوغه الناس . مصون فى طريق نزوله إلى أن يصل إلى من قصد نزوله عليه . أما صيانته من حين صدوره من مصدره إلى أن ينتهى إلى الرسول . فيكفى فى الدلالة عليه قوله « من خلفه » وأما صيانته حين أخذ الرسول إياه وتلقيه من ملك الوحى بحيث يعرفه ولا يغلط فى أخذه . وصيانته فى حفظه بحيث يعيه كما أوحى إليه من غير أن ينساه أو يغيره أو يبدله . وصيانته فى تبليغه إلى الناس من تصرف الشياطين فيه . فالدليل عليه قوله ﴿ **ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم** ﴾ حيث يدل على أن الغرض الإلهى من سلوك الرصد . أن يعلم إبلاغهم رسالات ربهم . أى أن يتحقق فى الخارج إبلاغ الوحى إلى الناس. ولازمه بلوغه إياهم . ولولا صيانة الرسول فى الجهات الثلاث المذكورة جميعا لم يتم الغرض الإلهى. وهو ظاهر . وحيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض طريقا غير سلوك الرصد . دل ذلك على أن الوحى محروس بالملائكة وهو عند الرسول . كما أنه محروس بهم فى طريقه إلى الرسول حتى ينتهى إليه . ويؤكده قوله بعد ﴿ **وأحاط بما لديهم** ﴾ أما صيانته فى سيره من الرسول حتى ينتهى إلى الناس فيكفى فيه قوله « من بين يديه » .

• هذا عن طريق الوحى . لا مجال للشيطان فيه . لأن الغرض من الوحى كما قال أهل التفسير : الغرض من الوحى إنذار الناس . وخاصة الإنذار المتعلق بيوم الجمع الذى يتفرق فيه الناس فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

إذن لولا الإنذار بيوم الجمع الذى فيه الحساب والجزاء . لم تنجح دعوة دينية ولم ينفع تبليغ .

فإذا كان الغرض الإنذار فكيف يدخل الشيطان فى هذا الإنذار كما ادعى الحلف الشيطانى فى كتابه الآيات الشيطانية . إن طرق الوحى المصونة ذكرها الله تعالى فى قوله :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً . أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم . وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ (١) .

---

(١) الشورى ٥١ .

قال المفسرون : تتضمن الآيات آخر ما يفيده سبحانه فى تعريف الوحى فى هذه السورة . وهو تقسيمه إلى ثلاثة أقسام . وحيا . أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء . ثم يذكر أنه يوحى إليه ﷺ على هذه الوتيرة . وأن ما أوحى إليه . منه تعالى . لم يكن النبى ﷺ يعلم ذلك من نفسه بل هو نور يهدى به الله من يشاء من عباده ويهدى به النبى ﷺ بإذنه .

والنبى ﷺ كان يوحى إليه بتوسط جبريل عليه السلام . وكان يوحى إليه فى المنام . وكان يوحى إليه من دون توسط واسطة . وهو فى كل هذا معصوم مصون . ورسل الله جميعا . من آدم عليه السلام حتى آخر الأنبياء محمد ﷺ . كانوا يعلمون أن جبريل من قبل الله جل وعلا . بتوفيق الله تعالى . فإنه سبحانه إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة والوقار . ثم يوحى إليه . ويؤيده بمعجزته . ورسول الله محمد ﷺ . كانت نطفته فى أصلاب آبائه نطفة ساجدة كإخوته الأنبياء عليهم السلام . وعندما جاء إلى الحياة فى هذه الأرض . عاش الرسول الأعظم حياته فى حفظ الله تعالى ورعايته . ففى الدر المنثور أخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر (عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه : قيل للنبى . هل عبدت وثنا قط ؟ قال : لا . قالوا : فهل شربت خمرا قط . قال : لا . ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر . وما كنت أدرى ما الكتاب وما الإيمان وبذلك نزل فى القرآن « ماكنت تدرى ما الكتاب وما الإيمان » .

هكذا كانت رحلة النبى ﷺ . فهل يستقيم هذا مع ما ذكرته الشائعات الشيطانية ؟ هل هذا يستقيم مع الرأى القائل بأن محمدا لم تكن فيه صفة إلهية مثل ... هذا يمكن للشيطان أن يخترقه . ألم يعلم هؤلاء أن السماء . والجماد فى هذا الكون يرفضان مقولة أن لله ولدا

﴿ له ما فى السماوات وما فى الأرض وهو العلى العظيم تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم . ويستغفرون لمن فى الأرض . ألا إن الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء . الله حفيظ عليهم . وما أنت عليهم بوكيل ﴾ (١)

---

(١) الشورى : ٤ - ٦ .

قال فى الميزان : « تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن » أى أن الوحى ينزل عليهن من فوقهن من عند من له العلو المطلق والعظمة المطلقة . فالآية فى إعظام أمر وحى الله من حيث نزوله ومروره على السماوات . وفى إعظامه من حيث تلقى ملائكة السماوات إياه . وأن المراد تفطرها من شرك المشركين من أهل الأرض وقولهم « اتخذ الرحمن ولدا » فقد قال تعالى فيه ﴿ **تكاد السماوات يتفطرن منه** ﴾ (١) .

هل يستقيم هذا مع الذين نبشوا بأظافرهم فى سيرة محمد ﷺ وقالوا . إنه بشر وإذا اخترقه الشيطان فهو معذور فى ذلك . لأنه ليس مثل عيسى الإلهى . ما قولهم فى قول علماء الحضارة والأديان . ومنهم د. جوستاف لوبون حيث قال :

(أن بولس أسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا . ولو قيل للحواريين الاثنى عشر أن الله تجسد فى يسوع . ما أدركوا هذه الفضيحة ولرفعوا اصواتهم محتجين) (٢) .

وهل تستحق مكانة جبريل عليه السلام ما نسب إليها فى الشائعات الشيطانية لقد شهد أصحاب الحلف الشيطانى على أنفسهم بالكفر . ولقد حاربوا الله . وسوف يطاردهم الله . ولا بقاء لشىء يطارده الله :

﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين . ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون** ﴾ (٣) .

لقد كان أصحاب عبادة العجول قديما من أعداء جبريل عليه السلام . وجاء من بعدهم حفدتهم أصحاب فقه العجول . ليقفوا فى نفس الخندق . هم يرفضون جبريل لأنه يأتى بما لا تهواه أنفسهم . إن جبريل ملك من الملائكة . لا شأن

---

(١) مريم ٩٠ .
(٢) حياة الحقائق/ د. جوستاف لوبون ص ١٨٧ .
(٣) البقرة ٩٧ ، ٩٩ .

له إلا امتثال ما أمره به الله سبحانه . كميكال وسائر الملائكة . وهم عباد مكرمون لا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وكذلك رسل الله لا شأن لهم إلا بالله ومن الله سبحانه . فبغضهم واستعداؤهم بغض واستعداء لله . ومن كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو لهم .

قال فى الميزان : « قل من كان عدوا لجبريل . فإنه نزله على قلبك » أى أن القرآن لا شأن فى إنزاله لجبريل . وإنما جبريل مأمور مطيع . كذلك لا شأن فى تلقيه وتبليغه لرسول الله ﷺ الا أن قلبه وعاء للوحى . لا يملك منه شيئا وهو مأمور بالتبليغ .

فهل يعقل الغرب هذه الحقائق الصافية . هل يتخطى العقلاء فى الغرب دائرة الأوثان ومجمع الأصنام إلى مياه النور النقية . سلام على جبريل فى العالمين . وسلام على محمد فى العالمين . وسلام على أنبياء بنى إسرائيل فى العالمين . وسلام على جميع أنبياء ورسل الله فى العالمين .

شبهات وأباطيل حول الوحى

عندما أرادوا أن يضربوا الوحى قديما . ألقت ألسنتهم بمقولات بصيرتهم المطموسة ووضع طابورهم الأحاديث التى تشكك فى طريق الوحى . لكن القرآن الكريم ضرب كل هذه المقولات . وبين الحين والحين يأتى اللاحق منهم فيأخذ بذيل السابق ويردد مقولته . ليضربه القرآن من جديد . وهكذا اغنانا وحى السماء فى صفع هذه الوجوه القبيحة .

قالوا قديما إن النبى ﷺ سافر إلى الشام للتجارة فتعلم القصص هناك من الرهبان . والنبى الأكرم لم تكن أسفاره إلى الشام إلا مع عمه أبى طالب قبل بلوغه أو مع ميسرة مولى خديجة رضى الله عنها . وسنه يومئذ خمس وعشرون . فهو مع من يلازمه فى ليله ونهاره ولو فرض . محالا ذلك . فما هى المعارف والعلوم . ومن أين هذه الحكم والحقائق . وممن هذه البلاغة فى البيان الذى خضعت له الرقاب وكلت دونه الإلسن الفصاح .

ثم أن من قرأ الكتاب المقدس وتأمل فى العهدين . ثم رجع إلى ما قصه القرآن من تواريخ الأنبياء السابقين وأممهم . رأى أن التاريخ غير التاريخ . والقصة غير

القصة . ووجد فى هذه القصص عثرات وخطايا لأنبياء الله الصالحين . تنبو الفطرة . وتنفر من أن تنسبها إلى المتعارف من صلحاء الناس وعقلائهم . القرآن يبرئهم منها . فإى معلومات هذه التى اعطاها الرهبان لرسول الله فى الشام ؟ وأين هى فى العهدين ؟ هناك احتمالان . إما الصدق أو الكذب . إما أن يكونوا فعلا علموه أو لا . فإذا كانوا علموه فماذا تعلم منهم ؟ وهل ما أتى به شيء مخالف لهم فلنفرض أنه جاء بما علموه له . فإذا كان الذى اتى به يتفق مع ما علمه الرهبان . اذن بالضرورة يتفق مع الأصول التى تعلم منها الرهبان . وإذا كان الذى أتى به والثابت . منذ أن تعلم من الرهبان حتى الآن يخالف الموجود عند الرهبان المحدثين . إذن بالضرورة يكون الخلاف عند إما الرهبان القدماء الذين علموه أو المحدثين . فأين الحقيقة ؟ إن القول بأنه تعلم من القديم سيدين الحديث لأنه جاء بالتوحيد . والحديث على التثليث . وإذا كانت تعلم من القديم التوحيد . فأين هذا التوحيد فى كتب السابقين ؟ أين البلاغة فى كتب السابقين ؟ اين الإعجاز فى كتب السابقين ؟ قليلا من الإنصاف أفلا تعقلون !

قديما قالوا هذا . وأخبر المولى القاهر فوق عباده بما يقولون فقال تعالى :

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى . وهذا لسان عربى مبين . إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ﴾ (١) قال ابن كثير : يخبر الله تعالى عن المشركين . ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت . إن محمداً إنما يعلمه هذا الذى يتلوه علينا من القرآن بشر . ويشيرون إلى رجل أعجمى كان بين اظهرهم . غلام لبعض بطون قريش . كان بياعا يبيع عند الصفا . وكان أعجمى اللسان لا يعرف العربية . أو أنه كان يعرف الشيء اليسير . بقدر ما يرد جواب الخطاب . فيما لابد منه . وعندما قالوا ذلك رد عليهم فى افترائهم ذلك (لسان الذين يلحدون إليه أعجمى . وهذا لسان عربى مبين) أى كيف يتعلم من جاء بهذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة . التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على نبى أرسل . فكيف يتعلم من رجل أعجمى ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل .

---

(١) النحل ١٠٣ .

وقالوا : كان النبى كثيرا ما يجلس عند المروة مع غلام نصرانى يقال له جبر ، عبد لبعض بنى الحضرمى . وأن هذا الغلام يعلم محمدا كثيرا مما يأتى به . وقالوا : كان النبى محمد يجلس مع رجل أعجمى اللسان اسمه بلعام . وكان يدخل عليه ويخرج من عنده . وأن بلعام هذا هو الذى يعلمه كثيرا مما يأتى به . وقالوا : إنما هو سلمان الفارسى علم النبى ﷺ القرآن . وقالوا : كان فى مكة غلامان روميان يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبى يمر بهما فيقوم . فيسمع منهما . فقال المشركون يتعلم منهما .

وفى رواية أن الذى قال « إنما يعلمه بشر » رجل من المشركين كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فارتد بعد ذلك عن الإسلام . وافترى هذه المقالة .

وخلاصة الأمر . أن القرآن الكريم صفع هذه الأقوال جميعاً « أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر . لسان الذى يلحدون إليه أعجمى . وهذا لسان عربى مبين » أما سلمان الفارسى رضى الله عنه . الذى نسبت الشائعات الشيطانية إليه . أنه علم النبى القرآن وفقا لتصور الكاتب المريض لهذه الآية ــ فإن مصادر الإسلام ذكرت أن هذه الآية مكية وسلمان اسلم بالمدينة . ولم يكن سلمان من كتبة الوحى كما ادعى صاحب الشائعات .

ثم إذا كان صاحب الشائعات الشيطانية . أخذ من كتب السيرة بعض الروايات التى تقول بأن رسول الله كان يتردد على بعض أهل الكتاب . ألم يخطر على باله . أن الرسول كان يحاجج هؤلاء بما فى أيديهم . أن اسمه الكريم مذكور فى كتب العهدين وأهل الكتاب فى زمانه كانوا يترقبون ظهوره ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم . فما هى المشكلة فى حديث النبى مع أهل الكتاب واحتجاجه عليهم أن القرآن الكريم به العديد من الآيات التى تبدأ بقول الله تعالى لرسوله « قل » أليس فى هذا أمر منه سبحانه كى يجادل رسول الله جميع الأجناس والألوان فى زمانه ! ولكنها البصيرة المطموسة . ولكنه فقه العجل الذى لا يرى إلا تحت قدميه . يرى التراب والمادة . إن فقه العجل يفسر « قل » بأن الرسول « أخذ » من أهل الكتاب ومن العجم القرآن . تبا له من فقه ملجم العقل مطموس البصيرة .

ثم التقط صاحب الشائعات الشيطانية حديث يسمى « بحديث الغرانيق » ونسج عليه ثوبه . فماذا يقول هذا الحديث ؟

قال ابن كثير فى تفسيره (١) : قال قتادة كان النبى ﷺ عند المقام : إذ نعس . فألقى الشيطان مع لسانه « وأن شفاعتها لترتجى . وأنها لمع الغرانيق العلا » فحفظها المشركون . وأجرى الشيطان أن نبى الله قد قرأها . فنزلت بها ألسنتهم . فأنزل الله ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى . إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد** ﴾ (٢) .

ولقد استثمرت قصة الغرانيق هذه بكل لون . فمن قائل أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله (٣) « تلك الغرانيق العلا » ومن قائل « كان رسول الله قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذى المشركين وتكذيبهم . وأحزنه ضلالهم . فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم قال ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الانثى** ﴾ القى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت . فقال « وانهن لهن الغرانيق العلا . وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى » وكان ذلك من سجع الشيطان . فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة . وزلت بها ألسنتهم . وتباشروا بها . وقالوا إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول . •

وذكر ابن كثير أن طرق هذه الروايات كلها مرسلة (٤) وكما ذكرنا من قبل أن الشيطان لا يمكن أن يلقى فى حديث النبى أو الرسول . بمقتضى قوله تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾ (٥) وقوله ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ (٦) وبمقتضى أن الرسول معصوم فى مرحلة استلام الوحى ومعصوم فى مرحلة الاحتفاظ بالوحى . ومعصوم فى مرحلة تبليغ الوحى . ورواية الغرانيق العلا هذه تخالف القرآن الكريم . أما تفسير هذه الآية ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا إذا تمنى القى الشيطان فى امنيته** ﴾ .

---

(١) ابن كثير ٥/٤٣٩ .
(٢) الحج ٥٢ .
(٣) ابن كثير ٥/٤٣٩ .
(٤) ابن كثير ٥/٤٣٨ .
(٥) النجم ٤ .
(٦) القيامة ١٨ .

أن أمنية الرسول ليست حديثه كما ذهب البعض . وليست قراءته أو فعله كما ذهب البعض الآخر . إنما أمنية الرسول . هى المنطقة . أو القبيلة . التى كان الرسول أو النبى يتمنى لها أن تؤمن به . كى تنال ثواب الله . الذى يعلمه الرسول علم اليقين كما أخبره وحى ربه . ولأن الرسول أو النبى يريد للقوم الخير . فإنه لا يتنازل عن أمور الدين . إنما يفسح صدره لهم ويأخذهم باللين فى أمور كثيرة . وبعد موت النبى أو الرسول . تتحرك القبلية أو المذهبية فى منطقة المتمنى . وهى التى كانت مستترة تحت جلود القوم وعبرت عصر النبوة تحت سماحة النبوة . فيلقى الشيطان فى هذه الأمنية أى فى هذه الأرض شباكه . فتتأصل هذه القيم تحت دعوى أن النبى أو الرسول قد أعطاها جواز المرور وهو حى ومع مرور الزمن يلبس الشذوذ الرداء الدينى . ولأن الشيطان هو الذى ألقاه . فلابد أن يلتف حوله المنافقون والقاسية قلوبهم (اليهود) ثم يأتى الرسول أو النبى التالى إلى منطقة التمنى هذه . فيقاومه هؤلاء بحجة أنه يعمل على هدم تراث الآباء والعجول . لكن الله تعالى يطارد الباطل . فينسخ الله ما يلقى الشيطان . ويقوم بتعريته . ويحكم سبحانه آياته . وكما أن عبيد العجل الأول . ظلوا على ولائهم لعجلهم . فكذلك هؤلاء بعد أن يحكم الله آياته . ليؤمن من آمن عن بينة ويكفر من كفر عن بينة . تظل رواسب الماضى عالقة عند من استحب العمى على الهدى . فهذه الرواسب هى بقايا الفتنة الأولى التى ألقاها الشيطان . وهذه البقايا أو هذه التصورات يتلقفها الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . وهكذا حتى جاء الرسول الخاتم الذى نسخ الله برسالته جميع مناطق التمنى السابقة . وأخبره ربه جل وعلا **﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطان . ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض . والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾** (١) .

لقد حكم الله تعالى آياته فى الرسالة الخاتمة وكشف زيف جميع مناطق التمنى التى اتخذها الناس مطية باسم الدين وماهى الا بصمة من بصمات الشياطين فعلى سبيل المثال .

---

(١) الحج ٥٢ .

ادم عليه السلام . الإنسان الأول . وجد نفسه فى الجنة ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنها رغدا حيث شئتما** ﴾ (١) فماذا كانت أمنية آدم فى هذا المكان وفى هذه النعم . كانت أمنيته الوحيدة هى الخلد . كان لا يريد أن يترك هذا النعيم . إلى هنا انتهت أمنية آدم ولا دخل للشيطان بآدم . وبدأ الشيطان يتحرك فى مجال الأمنية على أرض الواقع حتى وقف عند شجرة كان الله تعالى قد نهى آدم عن هذه الشجرة . وكان ادم وزوجه قد شاهدا إبليس ﴿ **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك** ﴾ (٢) جاء الشيطان إلى منطقة التمنى ﴿ **قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ (٣) ﴿ **وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين** ﴾ (٤) وحدث ما حدث وجاءت الفلسفات بعد ذلك ووقفت عند منطقة التمنى . على الرغم أن آدم لم يكن فى منطقة التمنى . إنما هو تمنى فقط . ثم جاء القرآن الكريم ونسخ ما ألقت الفلسفات وحكم الله آياته وقال سبحانه فى آدم ما قال . ثم اتسعت دائرة التمنى للأنبياء بعد نزول آدم عليه السلام .

ونوح عليه السلام كان يتمنى أن يؤمن له قومه . وعلى رأس هؤلاء . ابنه فلذة كبده . وكان عليه السلام يتعامل مع ابنه على اساس أنه من أهله . فأمنية نوح قومه . وابنه . إلى هنا انتهت الأمنية . فجاء الشيطان إلى أرض الواقع للأمنية وزين للقوم ولابن نوح . فصاروا من المغرقين . وحتى اللحظة الأخيرة كان نوح يتمنى أن تتحقق أمنيته . لقد شاهد ابنه . وقت أن كانت السماء تنتقم بالغسيل . ﴿ **ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ (٥) لكن ابن نوح جذبه الشيطان من منطقة تمنى أبيه فكان من المغرقين . وحتى فى آخر مشهد أثناء عملية الانتقام بالغسيل الذى اكتسح الخزى كله والعار كله . نادى الأب الحنون نوح عليه السلام ربه ﴿ **ونادى نوح ربه فقال . إن ابنى**

---

(١) البقرة ٣٥ .
(٢) طه ١١٧ .
(٣) طه ١٢٠ .
(٤) الاعراف ٢١ .
(٥) هود ٤٣ .

من أهلى . وأن وعدك الحق . وأنت أحكم الحاكمين ﴾ (١) . ولكن الله نسخ ما ألقى الشيطان فى أمنية نوح وحكم الله آياته . وبين أن الصلة الحقيقية هى صلة الدين وليست صلة الدم حتى لا يتاجر أحد بمثل هذه الصلة فيما بعد . لأن من يتاجر بها فسيكون زاده من منطقة تمنى للشيطان عليها بصمات فى يوم مضى . أن العلاقة بالأنبياء والرسل . علاقة منهج والتزام وعبودية وزهد . قبل أن تكون علاقة نسب ودم . لهذا قال الله تعالى عندما سأله نوح : ﴿ **إن ابنى من أهلى . وأن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح . فلا تسألن ما ليس لك به علم** ﴾ (٢) من هذا نعلم أن حدود الأمنية عند الرسول ﷺ لا علاقة لها بما يجرى على أرض الواقع . فأرض الواقع لها منهج سماوى من أخذه نجا . ومن رفضه فلن تغيثه ألف أمنية . لأن النبى أو الرسول ليس له سلطة على أرض الواقع فحدود عمله منهج تبليغ للفطرة . وأقامة الحجة على رسالته . والشيطان أعلن من يومه الأول أنه سيعمل على تطويع الواقع لأهدافه . لتدمير الجميع إلا من رحم الله . ولأن أرض الواقع لا سلطة لنبى عليها قال تعالى لنوح عندما سأله : ﴿ **فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾ (٣) .

وذهب ابن نوح وحكم الله آياته . ليأتى بعد ذلك طابور طويل يتدثرون بأسماء القبائل التى خرج منها أنبياء لله . ولا يعملون بأعمال منهج أنبياء الله . وترفع أعلاماً ليس للأنبياء فيها نصيب . بسبب بسيط هو أنها وقعت فى فتنة الشيطان داخل الأمنية التى من جنس عملهم ﴿ **ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض . والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد** ﴾ (٤) .

— وإبراهيم عليه السلام قال له المولى سبحانه وتعالى : ﴿ **إنى جاعلك للناس إماماً** ﴾ فقال إبراهيم : ﴿ **ومن ذريتى** ﴾ .

---

(١) سورة هود : ٤٥ .
(٢) سورة هود : ٤٦ .
(٣) سورة هود : ٤٦ .
(٤)سورة الحج : ٥٢ .

فقال تعالى : ﴿ **لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ (١) . إن أمنية إبراهيم **هى قوله** تعالى : ﴿ **ومن ذريتى** ﴾ إلى هنا انتهت الأمنية . ولا أثر لشيطان فى مداخلها أو مخارجها . وعلى أرض الواقع يتعامل إبراهيم عليه السلام مع ذريته . تعامل الرسول صاحب الرسالة . وعلى أرض الأمنية ينشط الشيطان من أجل توسيع رقعة الظالمين حتى لا ينالوا عهد الله . وترفع الأعلام داخل منطقة التمنى . وليس لإبراهيم فيها نصيب . لأن أصحابها لا يعملون عمل إبراهيم وبما أنهم ينتسبون إلى إبراهيم تختلط الأمور . ﴿ **فينسخ الله ما يلقى الشيطان . ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم** ﴾ .

ويعقوب عليه السلام كان يتمنى أن يكون يوسف بجانبه ـــ لأنه كان يتوسم فيه النبوة فعندما أخبره يوسف برؤياه . قال له يعقوب كما أخبر الله تعالى : ﴿ **قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً . إن الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** ﴾ (١) فيعقوب هنا كان يعلم من الله أن يوسف سيكون نبياً . أى مكتوب فى ديوان الأنبياء من قبل أن يلقى فى الجب . أو يدخل قصر العزيز وامرأته : ﴿ **ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** ﴾ ومن إتمام النعمة أن (لا يهم) بمعصية . يعقوب كان يتمنى أن يكون يوسف بجانبه إلى هنا انتهت أمنية يعقوب . لكن الشيطان طرح غزله وشباكه على أرض الأمنية وحدث ما حدث ليوسف ولأخوته . واستغفر يعقوب لمن أخطأ منهم ومرت الأيام وهى تحمل عوالق منطقة التمنى . ورفعت رايات العصبية وبدأت الدوائر تتسع شيئاً فشيئاً داخل الحى الإسرائيلى .

ـــ ومحمد ﷺ كان يتمنى أن يدخل العالم كله تحت رسالته . بعد أن علم نعيم الله الذى ينتظر من آمن منهم . لكن الله تعالى قال له : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله . ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون** ﴾ .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٢) سورة يوسف : ٦ .

﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض . وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١) .

وكان يضع قريش فوق هذا العالم . كان يتمنى أن تؤمن قريش فمكة كانت من أعز البلاد عليه إلى هنا انتهت الأمنية . ولا أثر لشيطان فى مداخلها أو مخارجها . وآمنت قريش بعد رحلة طويلة . جاهدهم فيها النبى ﷺ جهاداً شديداً . فماذا فعل الشيطان على أرض الأمنية . هل ترك أثراً؟ نعم . خرجت الرايات والأعلام التى ليس فيها لرسول الله ﷺ أى نصيب . تدعى أنها من قريش . وهى فعلاً من قريش لكنها قريش منطقة التمنى التى لا تعمل أعمال إبراهيم ومحمد لهذا قال البشير النذير محمد ﷺ « **هلكت أمتى على أيدى غلمة من قريش** » (٢) ومنطقة التمنى هذه كشفها الرسول ﷺ . لأنه خاتم الأنبياء . وكانت سنة الله قبل ذلك أن يكشف الوحى بصمات الشيطان على منطقة تمنى النبى السابق . للنبى اللاحق . ولأن محمداً هو خاتم النبيين . فلقد كشف عورات منطقة التمنى . بعد أن علم من ربه مالم يكن يعلم .

فعن حذيفة رضى الله عنه قال : « والله ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوا . والله ما ترك رسول الله ﷺ . من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا . إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته » (٣) وبالقرآن ينسخ الله أعمال الشياطين وأصنامهم على امتداد الزمان وينصر الله دينه ولو كره المشركون فأعلام الفتن هذه يعلمها العقل الإسلامى بعد أن حدد الحديث الشريف زمانها ومكانها . ومناطق التمنى على امتداد التاريخ الإنسانى كشف القرآن الكريم سترها حتى لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة . ففقه العجول قام القرآن بتعريفه حتى تبدو الأصنام على حقيقتها وليعلم كل ذى عقل إلى أين ينتهى به المسير .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى

---

(١) سورة يونس ١٠١ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أبو داود حديث ٤٢٢٣ .

أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم .ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . وإن الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم . وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

إن منطقة التمنى كشفها كتاب الله للأمة الخاتمة ﴿ **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به** ﴾ أى ليعلم الذين أوتو العلم النافع الذى يفرقون به بين الحق والباطل . المؤمنون بالله ورسوله . إن ما أوحينا إليك هو الحق من ربك . الذى أنزله بعلمه وحفظه . وحرسه أن يختلط به غيره ﴿ **فيؤمنوا به** ﴾ أى يصدقوه وينقادوا له ﴿ **فتخبت له قلوبهم** ﴾ أى تخضع وتذل ﴿ **وأن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** ﴾ أى فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فيرشدهم إلى طريق الحق وأتباعه . ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه وفى الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات .

• فأي شيطان هذا الذى عكف عليه الحلف الشيطانى وقذفوا به على رسول الفطرة . إن الطابور الشيطانى أرادها أمنيات شيطانية بعد أن التقط أحاديث وأقاصيص من هنا ومن هناك سندها غير متصل . ومنها ما هو اجتهاد يخالف القرآن الكريم ونحن ذكرنا قبل ذلك أن القرآن الكريم إليه يرجع كل رأى دينى . فهل جاءت الشائعات الشيطانية بآية قرآنية تفيد بأن الذى لا ينطق عن الهوى . تُلقى إليه الشياطين . إننى على امتداد هذا البحث حاولت قدر طاقتى ألا أخرج عن موضوعية البحث . إن صاحب الآيات الشيطانية استعمل أسلحة فى تجريح رموز الإسلام . اعترف بأن قلمى لا يمتلكها فالمسلم ليس بسباب . فهل محمد رسول الله يستحق كل هذا أمام العقل الغربى ؟ إننى أطرح هذا السؤال على كل عقل وعلى كل وجدان ولكى يصل إلى إجابة منصفة فعليه بالمراجع الإسلامية المعتبرة . وأى معلومة يجدها فى هذه المراجع عليه أن يعرضها فى نهاية الأمر على القرآن الكريم . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا قداسة لأى

---

(١) سورة الحج : ٥٢ : ٥٤ .

معلومة من أى مصدر لا يشهد القرآن بمصداقيتها — إن الشيطان لم يلق إلى رسول الله ﷺ آيات قرآنية . وروايات (الغرانيق) غير متصلة السند . والشيطان من منطلق أن كيده ضعيف ولا قدرة له ولا منهج على الخوض فى مواجهة مع الرسول ﷺ أو النبى بأى كيفية كانت . يتوهم (الشيطان) مجالًا للحركة فى إطار أمنية الرسول . وإن كانت حركته لا تخرج عن الواقع — أى لا دخل له بطريق الوحى حتى تبليغه للناس — وبمعنى آخر فكل محاولات الشيطان فى تصور ضغوط يفرضها على الواقع لمحاولة تغيير أو التأثير على أمنية الرسول بغض النظر عن نجاح أو فشل تلك المحاولات ولكى نسدل الستار على قصة الغرانيق نقدم بعضاً مما ذكره صاحب رسالة الصواب والتحقيق فى أكذوبة حديث الغرانيق (*) يقول :

قال رسول الله ﷺ « **من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** » وهذا الحديث قال عنه القارى فى مقدمة موضوعاته مما تواتر معنى وكاد يتواتر مبنى . وذلك لخطورة الكذب على رسول الله ﷺ . إذ هو الذى ينتهى إليه شرح القرآن الذى هو أصل الدين قال تعالى : ﴿ **ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ لذلك لا تعجب حينما تعلم أن الدخلاء على الإسلام والمارقين منه مروق السهم من الرمية والزنادقة أرادوا أن يحاربوا الدين بالدس عليه حين عجزوا عن محاربته بالسنان . فهم وغيرهم اخترعوا من عندياتهم أحاديث نسبوها إلى النبى ﷺ للغرض والهوى . فباءوا بالاثم الكبير ودخلوا تحت ذلك الوعيد الشديد . ومما ينبغى أن يعلم أن الله لم يتركهم لأغراضهم فيصلوا بها إلى التضليل والتشويش على ذلك الدين العظيم الذى تركه صاحبه على مثل المحجة البيضاء . ليلها كنهارها بل بعث علماء أجلاء زيفوا أقوالهم وأبطلوا ترهاتهم وأفسدوا مخترعاتهم وكشفوا الغطاء عنها حتى أظهر الله الحق على أيديهم وامتاز الصحيح من السقيم . والحسن من الضعيف . والمرفوع من الموقوف والمقطوع والموضوع .

(*) كتاب حل المشكلات للشيخ محمود حسن ربيع من علماء الأزهر ط دار الطباعة التيجانية ص ٧٠ .

وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على أحاد الناس . فكيف ممن قوله شرع وكلامه وحى ، والكذب عليه كذب على الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .. ومن روى عن النبى ﷺ حديثاً وهو شاكٍ فيه . أصحيح أم غير صحيح يكون كأحد الكذابين لقوله ﷺ « **من حدث عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين** » أى حديث لم يقل ، وهو يستيقن أنه كذب .. ولذا ينبغى لمن يقول حديثاً ظاناً أنه من كلام الرسول ﷺ أن يتبعه بقوله « **أو كما قال** » كل ذلك خوفاً من الزيادة والنقصان أو السهو والنسيان . وقد أخبر ﷺ بما يقع فى آخر الزمان فى أمته من الروايات الكاذبة والأحاديث الباطلة . فحذرهم من ذلك خوفاً أن يقع هالك هنالك فقال : « **سيكون فى آخر الزمان أناس من أمتى يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم** » ولقد شدد العلماء النكير على الكذبة حتى قال بعضهم بكفر الكاذب على النبى ﷺ .

ولقد أنكر تلك القصة كثير من المحققين قال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضى عياض فى الشفاء يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب . المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وفى البحر سئل ابن إسحاق جامع السيرة النبوية . فقال : هذا من صنع الزنادقة .

وقال القاضى أبو بكر بن العلاء : لقد بلى الناس ببعض أهل التفاسير والأهواء . وتعلق بذلك الملحدون . مع ضعف بعض نقلة الحديث واضطراب رواياته وانقطاع إسناده . واختلاف كلماته . فقائل يقول إنه فى الصلاة وآخر يقول قالها فى نادى قومه . وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة . وآخر يقول بل حدث نفسه بها . أو يقول : إن الشيطان قالها على لسانه . إلى غير ذلك من اختلاف الرواة . ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم . ولا رفعها إلى صاحب « صحابى » وأكثر الطرق عنهم فيها واهية ضعيفة . وطرق هذا الحديث كلها باطلة .

ثم إن الأنبياء ليس لهم خاطر شيطانى . ألا ترى أنه قال ألقى الشيطان

فى أمنيته دون القى الشيطان على لسانه . واعلم أن التلبيس بحيث يشتبه على النبى ﷺ فيعتقد أن الشيطان ملك . مخل بمقام النبوة ونقص فيه قال الألوسى : فإن الولى الذى هو دونه عليه الصلاة والسلام . بمراتب لا يكاد يخفى عليه الطائع من العاصى . فيدرك نور الطاعة وظلمة المعصية . فكيف لمن هو سيد الأنبياء ونور عيون قلوب الأولياء . يلتبس عليه من هو محض نور بمن هو محض ديجور .

ومن العجيب أن يتولى الحافظ بن حجر القصة من ناحية الصناعة الحديثية ويدافع بأجوبة فيرد على ما تقدم بما لا يسلم له . ولكن لكل جواد كبوة !!(*) .

فالطاعنون فى الخبر علماء أجلاء عارفون بالغث والسمين من الأخبار . وقد بذلوا الوسع فى تحقيق الحق فيه فلم يروه إلا مردوداً . ويغلب على الظن أنهم وقفوا على رواته فى سائر الطرق فرأوهم مجروحين كما حققه البيهقى . وقال العلامة الآلوسى : يؤيد عدم ثبوته مخالفته لظواهر الآيات . فقد قال سبحانه فى وصف القرآن ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ والمراد بالباطل ما كان باطلًا فى نفسه . وذلك الملقى (الشيطان) كذلك فإنه لا شفاعة للأصنام . بل هى وعابدوها فى النار . وقال عز وجل : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فلا يمكن أن يقع فى طريق نزوله مثل هذا . ولو قلنا بما روى عن الضحاك . من أن سورة الحج كلها مدنية . لتبين أن قصة الغرانيق موضوعة قطعاً . ولو أضفنا إلى ذلك ما أخرجه الدارمى : كان جبريل عليه السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن . وأن ذلك بيان لكونه ﷺ ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

واعلم أن النبى ﷺ خلق للهداية . فلو ساغ ظهور إبليس بصورته لزال الاعتماد عليه ﷺ . فلذلك عصمت صورته ﷺ أن يظهر بها . فلقد صح بل تواتر أن النبى ﷺ قال : « **من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً . فإن الشيطان لا يتمثل بى** » . والظاهر أنه لا يتمثل به ﷺ أصلًا لا للمخلصين ولا لغيرهم

(*) دفاع ابن حجر عن الأحاديث كما قال المؤلف (كبوة) وهذا الدفاع فى فتح البارى عند تفسير ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ وكما ذكرنا من قبل أن الحديث الذى يخالف القرآن لا ينظر إليه . لأن كتاب الله يجب أن يرجع إليه كل رأى دينى .

لعموم « من » ولزوم مطابقة التعليل المعلل . وإذا لم يتمثل مناماً . فلأن لا يتمثل يقظة من باب أولى .

وإذا كان النبى ﷺ من أبرز صفاته الهداية . واسمه الهادى . والشيطان من صفاته الإضلال . وهو مضل غوى مبين . فهما ضدان فلا يظهر أحدهما بصفة الآخر . والنبى ﷺ كما أسلفنا خلق للهداية فلو ساغ ظهور إبليس بصورته لزال الاعتماد عليه ﷺ فلذلك عصمت صورته ﷺ على أن يظهر بها شيطان . وإذا منع أن يظهر بصورته للتلبيس . فكذلك يمنع من أن يدخل فى القرآن ما ليس قرآناً لأنه يفتح باب التلبيس .

والحاصل : أن الذى يجب اعتقاده والإيمان به . على كل مكلف . أنه إذا رأى آية أو حديثاً وكان مغناها أو معناه غير ظاهر بل من المتشابه أو المجمل ألا يبادر بالكلام فيه حتى ينظر ما يوافق الحق . والنصوص العقلية فيه . ولا ينظر لقول المفسرين والمحدثين . إلا إذا كان قولهم مطابقاً لما يوافق الحق المطابق لما فى نفس الأمر (**) .

وبناء على ما ذكرنا وما قدمنا فإن قصة الغرانيق وضعها الحلف الإبليسى قديماً . ليستغلها الحلف الإبليسى حديثاً . للصد عن سبيل الله . ولكن كتاب الله تعالى تصدى لهذه المحاولات وضربها فى مقتل فانهارت حصون الضلال قديماً . كما انهارت اليوم وكما ستنهار مستقبلاً وسيبقى نبى الإسلام وكتاب الإسلام نوراً واحداً يشع على الطريق المستقيم ليكون حجة الله على جميع خلقه .

وفى تعريف التمنى قيل هو نهاية التقدير من المنية وهى وفاة الإنسان للوقت الذى قدره الله . وتمنى الرسول ﷺ هو الوقت الذى يلى منية الرسول ﷺ أى يلى موته . فينقلب من ينقلب على عقبيه . ويجزى الله الشاكرين . ولله الأمر من قبل ومن بعد !.

(**) المصدر السابق بتصرف .

هجوم الحلف الشيطانى على بيوت النبى

وصف الحلف الشيطانى أمهات المؤمنين بأوصاف لا تخرج إلا من عنده . فالحلف لم يجتهد وإنما خلع جلده وثقافته ووضع هذا وذاك على رموز الإسلام . وهو لو لم يفعل ذلك فكيف يكون إذن حلف الشيطان . وهل الشيطان يعرف الطهارة . لقد اجتهد تلاميذه قديماً من أجل طرد المتقين من قوم لوط عليه السلام لسبب بسيط لقد وجد علماء فقه العجل إن المؤمنين يتوضأون فأصدروا فتواهم التى أخبر الله عنها فى كتابه :

﴿ **أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ (١) .

بجاحة الإيدز ، بجاحة الشهوة ، بجاحة العجول ، والفتوى القديمة هذه هى نفسها التى قدمها فقه العجول فى شائعاته الشيطانية لا تختلف فى شىء . وكيف تختلف والطابور واحد وينطلق من مربع (تمنى) واحد لقد التفوا حول شيطان قوم لوط . ولم ييأسوا حافظوا على الأمانة وعبروا بها القرون وكان قدرنا نحن دون خلق الله . إن تشملنا شائعاتهم الشيطانية بهذا الكم من السباب . وإلقاء التهم على رموزنا يميناً وشمالاً . وغدرنا فى هذا كله ليس أننا على الحق . فنحن على الحق . وهم يعرفون ذلك . ولكن لأن هؤلاء جميعاً بجميع طوابيرهم لا يعرفون معنى الوضوء . نريد لهم كتاباً واحداً . يتحدث عن الوضوء . يتحدث عن الاغتسال . يتحدث عن الطهارة . اين هذا الكتاب ؟ لن يوجد لأن النجس لا يحمل إلا نجساً ولقد أخبر الله تعالى فى كتابه : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ (٢) .

وإذا كان الحجاب رمزاً للدعارة كما قالت شائعات الشيطان . فأين يكمن الحياء ؟ ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾(٣) إن الله تعالى أخبر عن طابور الشهوات بجميع لافتاته . وحذر أمة محمد ﷺ من أن هذا الطابور سيعمل كل جهده من أجل تغيير الفطرة . فإن لم يستطع فمن أجل أن تميل الأمة إلى ثقافته . ﴿ **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً** ﴾ (٤) فإن لم يستطع فبطرح الشائعات من أجل تلويث النقاء ﴿ **قل إن**

---

(١) سورة النمل : ٥٦ .
(٢) سورة التوبة : ٢٨ .
(٣) سورة الكهف ٥ .
(٤) سورة النساء ٢٧ .

الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ (١) .

ـــ لقد التقط الطابور الشيطانى حادثة الإفك ونسج عليها تصوراته المريضة وكذا تعدد الزوجات وزواج النبى ﷺ أما الإفك فيكفى الباحث عن الحقيقة اسم « إفك » فالإفك يعنى الكذب فماذا يفيد البحث فى موضوع عنوانه « كذب » ثم إن الذين قدموا هذا الإفك أو هذا الكذب لم يكونوا من الملائكة حتى يؤصل الطابور الشيطانى هذا الحادث . إنما كانوا من البشر قال تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ (٢) وفى نهاية الأمر قال الله جل شأنه القول الحق فى هذه القضية . فقال لرسوله ﷺ ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم . لا تحسبوه شراً لكم . بل هو خير لكم . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم** ﴾(٣) هو خير لأن الله تعالى اختبر بهذا الحدث دائرة محدودة من الناس وقتئذ ليعلم سبحانه من سيجند الحدث للنهش فى الدعوة نفسها . وهو ما يقوم به الخلف الإبليسى اليوم .

أما تعدد الزوجات فهذا حكم الله فرض سبحانه تعدد الزوجات أما طابور الشيطان فيفرض تعدد الخليلات وفى أحيان أخرى تعدد الغلمان ونحن لادخل لنا بمثل هذه المدارس . وكان يجب على أصحاب الشائعات أن يقفوا أمام مرض الإيدز وأن يسألوا الأطباء من باب الأمانة عن أسباب المرض . وهل لتعدد الخليلات والغلمان أثر فيه أم لا . إن التعدد فى الإسلام مشروط بالعدل : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ (٤) ومن حكمة التعدد أن الإسلام فرض الجهاد على أتباعه فالقتال فى الإسلام له فقه عريض . ولما كان القتال يقوم به الرجال . ويترتب عليه استشهاد العديد منهم . فإن الإسلام العظيم سد ثغرات المجتمع المسلم بعد القتال . فلو أن الله تعالى لم يشرع الزواج بأكثر من واحدة . فماذا سيفعل مجتمع إسلامى مطالب بتبليغ دعوته . ومطالب بالدفاع عن هذه الدعوة . إن بعد القتال يظل عدد النساء ثابتاً بينما يتناقص عدد الرجال . لهذا

---

(١) سورة الأعراف : ٢٨ .
(٢) سورة النور : ١١ .
(٣) سورة النور : ١١ .
(٤) سورة النساء : ٣ .

شرع الله تعالى هذا التعدد . فهو العليم المطلق سبحانه . ولا يعطى العدد إلا بحكمة . وكتب أهل الكتاب تحدثنا عن معارك ستدور رحاها فى منطقة « هرمجدون » بالشرق الأوسط . ومصادر الإسلام حدثتنا أيضاً عن هذه المعركة وأسمتها « بالملحمة الكبرى » واتفقت جميع الأطراف على أن نسبة الخسائر فى الجانب الإسلامى ستكون ٩٩٪ ورغم ذلك سيخرج منتصراً من الحرب . فماذا يكون الحال يومئذ عندما يستشهد هذا القدر الهائل بأسلحة الهمج الذين يصدون عن سبيل الله .

إن حكمة التعدد ستعرف غداً ، لأن الله تعالى لم يأمر بشىء إلا لهدف ومن وراء هذا الهدف حكمة وليس معنى ذلك أن التعدد لا يصلح إلا لآخر الزمان . بل هو صالح أبداً . بشرط الله فيه .

أما فيما يتعلق بتعدد زواج رسول الله ﷺ فإن الله تعالى هو الذى زوجه . زوجه تعالى أم المؤمنين زينب بنت جحش وهذا الزواج لحكمة قال فيها تعالى : ﴿ **لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم** ﴾ (١) . أما إن الله تعالى هو الذى زوج رسوله من زينب فقد جاء فى قوله سبحانه ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾ (٢) . فماذا يريد الطابور الشيطانى من هذا .. الله تعالى زوج رسوله لحكمة يريدها سبحانه لعباده . فعلام يحتج فقه العجول ، ثم إن الله تعالى بعد أن زوج رسوله ﷺ قال له : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن** ﴾ (٣) أى أن التعدد للنبى ﷺ كان لحكمة أرادها الله وعندما تحققت قيد الله زواج رسوله .

وأخبر سبحانه بألا ينكح أحد من الناس أزواج رسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً** ﴾ (٤) وهذا أيضاً لهدف ، ومن وراء الهدف حكمة .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٧ .
(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .
(٣) سورة الأحزاب ٥٢ .
(٤) سورة الأحزاب ٥٣ .

فماذا يريد فقه العجل من وراء هذا . إن الله زوج رسوله . وقيد زواج رسوله وحرم زواج نسائه من بعده . أليس فى هذا كله تشريف وتعظيم لرسول الله ﷺ أليس فى هذا دليل على أن الوحى هو الذى يضبط حركة الرسول ﷺ الإنسانية . وأن الوحى الذى يضبط مشاعر الرسول يضبط أيضاً الحركة حول البيت النبوى . وداخل البيت النبوى . أما خارج البيت فقيد سبحانه الدخول إليه فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم** ﴾ (١) وقيد سبحانه التحرك داخل البيت النبوى . فأمر بأنه إذا سُئل أزواج النبى فى مسألة فلابد أن يكون ذلك من وراء حجاب : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب** ﴾ (٢) .

إن زواج النبى ﷺ بتسع نساء معجزة .

لأن الإسلام شرع ﴿ **مثنى وثلاث ورباع** ﴾ واشترط العدل : ﴿ **وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ فما بالك بمن يتزوج تسعاً ويعدل بينهن ! أليس فى هذا إشارة على أنه رسول ، إن العدل بين امرأتين قضية ، يعجز أمامها الحكيم من الرجال فما بالك بمن يعدل مع هذا العدد . صحيح أن الكتاب المقدس أخبر بأن سليمان تزوج بأكثر من مائتين . ولكن هذا الخبر لا يجعلنا نلتفت إليه . نظراً لأنه ذكر أن سليمان صنع التماثيل لأزواجه . وانتهى به المطاف إلى عبادة الأوثان . لهذا نحن لا نتعامل مع الخبر على أنه صحيح . أما فى زواج النبى محمد ﷺ فالسيرة تقره . والقرآن أكده . وعلى هذا فالمعجزة ظاهرة فيه . وتعدد الأزواج أيضاً ساعد على اشتداد ساعد رسول الله ﷺ فى صدر الدعوة الإسلامية . فمعنى الزواج أن يكون لك ساعد يشد من أزرك . ولقد كانت مهام النبى ﷺ كلها مشاقا . فالنبى ﷺ لم يرسل لقريش فقط . إنما طارت رسائله على ظهور الجياد إلى كسرى وقيصر ! ومع تعدد المهام تتعدد الراحات . لا أقصد راحة الفراش . إنما أقصد راحة الداعية . فالرسول ﷺ لم يتزوج من أجل الفراش . والسيرة تشهد بذلك . وفقه العجل يفلسف أى حدث ويرده إما إلى التراب وإما إلا الفراش . أما فقه الدعوة فله فلسفة أخرى ، وأهداف أخرى .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٢) سورة الأحزاب ٥٣ .

ـــ إنها دعوة لأصحاب العقول والأفهام فى الغرب . بأن يتدبروا وأن يفقهوا الأحداث بعين الفطرة ! .

إن الإسلام يخاطب فيهم عقولهم ووجدانهم ، وتنتفض إليه فطرتهم شوقاً لأن المخزون الفطرى هو ذخيرة هذا الدين ، وهذا المخزون هو الذى يخشاه عملاء الشيطان فى كل مكان .

أما أصحاب فقه العجل أصحاب الفلسفات الذين أخرج لهم السامرى أيام موسى عجلهم الأول كما أخبرنا ربنا وقال :

﴿ **فأخرج لهم عجلًا جسداً له خوار . فقال هذا إلهكم** ﴾ (١) .

فإلى هؤلاء الذين ورثوا صنع الآلهة وعبادة العجول . نقول : ما زالت أبواب التوبة مفتوحة ، ومن استكبرعن عبادة الله الواحد ، فهو وطابوره كله إلى زوال . حتماً مقضياً سيغادرون الدنيا بثياب الخزى والذل ، ويوم القيامة ستعلو وجوههم غبرة المهانة :

﴿ **وجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة** ﴾ (٢) .

ثم يكون مصيرهم هم وعجولهم فى نار جهنم خالدين فيها ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾ (٣) أى أنكم وأصنامكم وأوثانكم شجر جهنم . فقبل أن يأتى هذا اليوم على أصحاب الفلسفات أن يتأملوا . ويتفكروا ، ويعقلوا .

وأخيراً : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا جبريل أمين وحى السماء . السلام عليكن يا أمهات المؤمنين . السلام عليكم يا أصحاب رسول الله الأبرار الأوفياء .

---

(١) سورة طه : ٨٨ .
(٢) سورة عبس ٤٣ .
(٣) سورة الأنبياء : ٩٨ .

الخاتمة

إلى عقلاء الغرب أقول :

أسكن الله تعالى البشر فى الأرض المزخرفة . المزينة . والمليئة بالفوائد المادية ليتمحن البشر فرداً فرداً فطريق أى إنسان . يبدأ بأول خطوة لهذا الإنسان . وعلى هذا . فبداية الضلال من العبد نفسه . وإضلال الله له يكون عقاباً لسوء اختياره . فالإنسان عندما يرفض الحق ويخرج عن قانون الفطرة باختياره . يضله الله . أى يقطع عنه رحمته . لأنه لو تقرب إلى الله شبراً . لتقرب منه الله ذراعاً . لكنه ابتعد فابتعدت عنه رحمة الله فأضله الله والإنسان الذى انغمس فى دائرة التعتيم . وشرب من مذاهبها . لن يمكنه الخروج منها إلا إذا بدأت نفسه بالخطوة الأولى عليه أن ينقب فى أصول دائرة العتمة حتى يزيل عنها الأوراق المزخرفة . وتبدو على حقيقتها ــ فهذه خطوة أولى لابد منها ، وسبيل الله لا يفتح إلا بعد أن تتم هذه الخطوة . إن البحث عن سبيل الله فى حد ذاته جهاد . لأن الباحث يواجه الشيطان داخل مكتبة وأوراقه . ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ (١) ﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين** ﴾ (٢) لابد للعقل الغربى أن يبحث فى مرتكزات مذاهبه الفكرية والاقتصادية والسياسية التى جعلت من الإنسان قرداً . وبررت له جميع الوسائل . وجمدته أمام الشهوات . وجعلته عاكفاً على أصنام المادية . إن هذه المذاهب بلا استثناء ستنهار جميعها . إذا نظر فيها بعين الفطرة . لأن كيد الشيطان مهما بلغ من قوة فهو ضعيف . لأنه باطل والباطل نقيض الحق . ولا ثبات له عن الفحص قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق . وأن ما يدعون من دونه الباطل** ﴾ (٣) فالحق حق وإن قل اتباعه . والباطل باطل وإن كثر أتباعه .

لابد من البحث فى أسباب الدخول إلى منطقة العتمة التى صنعها الشيطان فى مربع الإرادة على الصراط المستقيم . فالدخول أدى إلى طغيان قوة الشيطان على النفس . وفى المقابل ضعف القوة المخالفة للشيطان خارج منطقة العتمة . والتى

---

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ .
(٢) سورة العنكبوت : ٦ .
(٣) سورة لقمان : ٣٠ .

هى الفطرة . وقوة الشيطان داخل منطقته تمد فريستها بجميع تصورات منطقته العتمة . وعلى هذه التصورات يشيد عالم الزخرف والتزيين . ولن يسحب البساط من تحت أرجل هذا العالم . ألا بنبش الأوراق حتى يتسلل نور الفطرة ويخترق الوجدان محطماً أصنامه ويصل إلى العقل ثم يمد العقل بتصورات العبودية الحقة . تلك التصورات التى ستقيم مؤسسات العدل بدلًا من مؤسسات الظلم والجور ، فالعقل هو المحور الذى عليه تدور أسس الصراع فى المفهوم الإسلامى .. وهذه الأسس يغذيها مفهوم الحلال والحرام فى الشريعة الغراء التى بنورها يهتدى نور الفطرة ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ ومفهوم الحلال والحرام يفتح أمام العقل والوجدان . دائرة التقوى . وبقدر التزام الإنسان بمفهوم الحلال والحرام تتحدد مكانته فى دائرة التقوى . وكلما اتسع مكانه فيها . كلما كان قريباً من الله تعالى قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فالتقوى غاية لأسس الصراع فى المفهوم الإسلامى . وليس رغيف الخبز كما قال ماركس أو الجنس كما قال فرويد . لهذا حدد سبحانه بنود التقوى ومنهاجها فى كتابه . بل وحدد صفة رجالها فمن تفقه فى المنهاج وتأمل فى البنود . هدى إلى الصراط المستقيم . ومن لجم العقل وحجم النص وعتم على البصيرة . هوى . أما إلى المغضوب عليهم وإما إلى الضالين وكلاهما أتبع طريق الأولين الذى لم ينزل به من عند الله سلطان . وعلى امتداد هذا الطريق يرى كل باحث له عقل منصف آثار العجول .

وليكن معلوماً أن الطريق لإقامة مؤسسات العدل يبدأ من الإنسان أولًا . ثم من المجتمع كله بعد ذلك ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ قال فى الميزان : لأن سنته سبحانه جرت ألا يغير ما بقوم من الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحالات الروحية كأن يغيروا الشكر إلى الكفر . والطاعة إلى المعصية والإيمان إلى الشرك فيغير الله النعمة إلى النقمة والهداية إلى الضلال والسعادة إلى الشقاء . وبالجملة فلو جرى قوم على استقامة الفطرة وآمنوا بالله وعملوا صالحاً . أعقبهم نعيم الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا** ﴾ (١) والحال ثابتة فيهم دائمة عليهم ما داموا على حالهم فى أنفسهم فإذا غيروا حالهم فى أنفسهم غير الله سبحانه حالهم الخارجية بتغيير النعم نقماً .

(١) سورة الأعراف : ٩٦

• وأخيراً : إذا بقيت كلمة . فإلى غير العقل الغربى أقولها : يقول تعالى :

﴿ **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . فلا تخشوهم واخشون** ﴾ (١) .

إن أسلحة الكفر سقطت كلها من قديم . ومعسكر الكفر إذا رفع سلاحه فى وجه معسكر الإيمان . إنما يرفعه رفع البائس . لأن القضية منتهية من قديم . ﴿ **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** ﴾ أى لقد يئسوا من محاربة دينكم . ولقد فشل أعداؤكم فشلاً ذريعاً . ولا يهددكم خطر منهم بعد اليوم . ﴿ **لا تخشوهم** ﴾ أى يجب أن تخشوا شيئاً آخر اخشونى . خافونى . خافونى . إن خالفتم أمرى وارتكبتم معصيتى أن أحل بكم عقابى .

إن الشائعات الشيطانية لبنة فى صرح اليائس الذليل المهان . ولقد سقطت كما سقطت إخواتها من قبل . وكما ستسقط ضربات اليائس فى المستقبل . فهل لنا أن نحقق قوله تعالى : ﴿ **فاخشون** ﴾ إن هذه هى القضية . نحن نطمع فى أن يرحمنا الله . فهل نطمع فى أن تراجع حزمة المنافقين أوراقها قبل يومها الأسود . حيث الدرك الأسفل من النار إنهم يحملون فؤوس الهدم ويهدمون فى جدار السفينة وهم يشعرون أولا يشعرون استناداً على أن شهادة التوحيد جدار لهم . وهل نطمع فى أن يتاح للإنسان المسلم أن يستخدم الموجودات التى على هذه الأرض من أجل الوصول إلى أهداف الله . وليس إلى أهداف اليائس لأن من سار على أهداف اليائس . ربط مصيره بمصيره . هل لنا أن نتدبر قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ (٢) .

وهل لنا أن نفقه قوله تعالى للشيطان ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك . واجلب عليهم بخيلك ورجلك . وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ الإسراء : ٦٥ . هل لنا أن نفهم أن للشيطان وسائل إعلام (**بصوتك**) وللشيطان أحلافاً عسكرية (**بخيلك ورجلك**) وللشيطان بنوكاً (**وشاركهم فى الأموال**) وللشيطان عمقاً بشرياً تغذيه ثقافة الشيطان (**وشاركهم فى الأموال والأولاد**) وأن طريق الشيطان كله بوعوده كلها سراب زائف .

---

(١) سورة المائدة : ٣ . (٢) سورة الرعد : ١١

وأن التواجد فى دائرة الترف الأهوائى دليل على الظلم والإجرام .

﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ (١) .

والتواجد فى دائرة الهدى دليل على حب الله .

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ (٢) .

ومن لوى رقبته فإن الله ليس فى حاجة إليه .

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه . فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . أذلة على المؤمنين . أعزة على الكافرين . يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ (٣) .

وصلى الله على محمد وآله ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سعيد أيوب

***

(١) سورة هود : ١١٦ .
(٢) سورة آل عمران : ٣١
(٣) سورة المائدة : ٥٤ .

فهرس الكتاب

الموضــــوع	الصفحة

****

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩/٤٠٧٣

الترقيم الدولى ٥ -٢٢٣- ١٤٢ -٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١